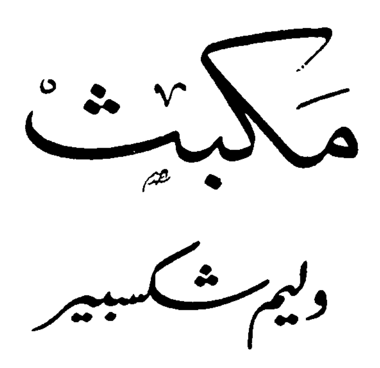



ترجمة

## خليل مطران

مع مقدمة تحليلية بقلم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

الطبعة الثامنة



# أشخاص الرواية

| | | |
|---|---|---|
| DUNCAN | دنكان | ملك إسكتلندة |
| MALCOLM | ملكولم | ابنا الملك |
| DONALBAIN | دونلبان | |
| MACBETH | مكبث | قائدان فى جيش الملك |
| BANQUO | بنكو | |
| MACDUFF | مكدف | من أشراف أسكتلندة |
| LENNOX | لينوكس | |
| ROSS | رس | |
| MENTEITH | منتث | |
| ANGUS | أنجوس | |
| CAITHNESS | كانتس | |
| FLEANCE | فليانس | ابن بنكو |
| SIWARD | سيورد | قائد القوات الإنجليزية |
| YOUNG SIWARD | الفتى سيورد | ابن قائد القوات الإنجليزية |
| SEYTON | سيتن | ضابط فى خدمة مكبث |
| LADY MACBETH | لادى مكبث | زوج مكبث |
| LADY MACDUFF | لادى مكدف | زوج مكدف |

ابن مكدف ، أطباء ، أشراف ، لوردات ، ضباط ، جنود ، قتلة ، خدم ، رسل ، طيف بنكو

* * *

تجرى حوادث الرواية فى أسكتلندة وإنجلترة .

## الفصل الأول

# المشهد الأول

أرض معشوشبة بقرب فوريس . إبراق وإرعاد

( تدخل ثلاث ساحرات )

**الأولى** : من أين مجيئك يا أختى ؟

**الثانية** : كنت أقتّل خنازير .

**الثالثة** : وأنت يا أختى ؟

**الأولى** : كانت امرأة ملاح تحمل فى حِضْنها كستناء ، وتَقضِم ، تَقضِم ، تَقضِم ، فسألتها شيئاً منه فطردتنى قائلة : « اعزبى يا ساحرة » . إن زوجها قد سافر إلى « حلب » ليكون رُبَّاناً بدجلة ، سأركب الغِربال مُقْلعةً إليه ، وسأعمِلُ سحرى كما يُعملُ الفأر نابه ، قرضاً ، قرضاً ، قرضاً .

**الثانية** : وهبتك ريحاً عاتية .

**الأولى** : لك الشكر .

**الثالثة** : وأنا أمنحك ريحاً ثانية .

**الأولى** : أمّا سائرُ الرياح فهن لى ، كما أن لى مراسى السفن وسائرَ الأماكن المرسومة فى خرائط البحار . سأدعه جافاً

كالتبن ، لا يعلق النوم ميلا ولا نهاراً بأهداب جفنيه ،
حياتُه حياةُ الطريد المحروم يظل يضعف ، وينحُفُ ،
ويذوبُ تسعةُ أسابيع مكررة . تسع مرات يأبى القدر أن
تغرق سفينته ، ولكنها تستمر عرضة للأمواج بلا انقطاع ،
انظرى ما بيدى ؟

الثانية : أرينا ، أرينا .

الأولى : إبهام ملاح قد غَرِق فى يوم وصوله إلى وطنه .

( تسمع الطبول ) .

الثالثة : الطبول الطبول ، مكبث يقترب .

( الثلاث الساحرات متماسكات وراقصات )

( يدخل مكبث وبنكو )

مكبث : لم يمر بى يوم أروعُ من هذا اليوم هولاً وجمالاً .

بنكو : كم المسافة بين هذا المكان وبين فوريس ؟ ما هذه
الخلائق الغثَّاث العجافُ ، باليات الجلود والأطمار ،
غريبات الحركات والأطوار ، إنها ليست بإنسيَّات وإن
مشت على الأرض ، ألك حياة ؟ أتجيبين السائلين ،
كأنى بك وقد وضعت أصابعك الجافيات على شفاهك
الجافات تدركين ما أقول ، ما أشبهك بالنسوة ، لولا هذه اللِّحَى .

مكبث : تكلَّمى إن تستطيعى الكلام . من تكونين ؟

الساحرة الأولى : سلام أى مكبث . سلام يا غطريفَ ولاية «جلاميس» وسيدها .

الثانية : سلام أى مكبث. سلام ياغطريف ولاية «كودور» وسيدها.

الثالثة : سلام أى مكبث ، ستكون ذات يوم ملكاً .

بنكو : (مخاطباً مكبث) أيها الهمامُ مالك تَجف؟ وعلام ترتجف ؟ أتخيفك أمثالُ هذه الكلمات ، على عذوبة موقعها من المسامع (مخاطباً الساحرات) باسم الحقيقة ألَستنَّ أوهاماً ؟ أم أنتن ما نرى ؟ لقد لقبتنَّ رفيقى الشريف «السيد الغطريف» بألقاب الفخر وتنبأتنَّ له من آمال الملك ، بما أفاض على قلبه السرورَ والدهشة ، أمَّا أنا فلم تخاطبنى ، فلتن كنتن تستشرفن مايحجُبُه الغيب ، وتَعلمْن البِذْر الذى ينمو من البِذر الذى لا ينمو ، فأجبنَ على سؤال رجلٍ لا يرجو منكن الإحسان ، ولا يخشى منكن الإساءة .

الأولى : سلام .

الثانية : سلام .

الثالثة : سلام .

الأولى : دون مكبث وأعلى منه قدراً .

الثانية : أقل منه توفيقاً ، وأعظم منه توفيقاً .

الثالثة : ستلد ملوكاً ولن تكون أنت ملكاً .. فيا مكبث وبنكو سلام عليكما .

مكبث : البثى أيتها النواطق بغير إفصاح عما فى ضمير المقادير ، وزيدينى بياناً .

أعلم أنني بموت أبي قد أصبحت غطريف « جلاميس » ، ولكن كيف أستطيع أن أكون غطريف « كودور » في حين أن صاحب هذا المنصب والملقب به ما زال حيًّا، في إقبال من دهره . فأما أن أصير ملكاً فذلك أبعد احتمال، وليس ما تنتهي إليه عقيدتي . أبيني إذن ، من أين استنزلتِ تلك الأقوال المستغرَبة ؟ ولماذا عرَضْتِ لي في هذه الأرض التي تطرُقها الرياحُ ، تحييني بأمثال هذه النبوءات ؟ إني لأتقدم إليك أن تجيبني (تتوارى الساحرات) .

بنكو : للأرض نُفاخاتٌ كحبَب الماء. وما تلك الأشباحُ التي رأيناها إلا من أمثال ذلك الحبَب بدَتْ ثم بادَتْ . إلى أين تراها عادت ؟

مكبث : إلى الهواء ، وبينما كنا نحسبها أجساماً إذ رأيناها ذابت ، كما تذوب الأنفاس في النسمات ، ألا ليتهن أطلن الوقوف .

بنكو : أكانت تلك المخلوقات ههنا ، كما شهدناها ، أمْ نحن أكلنا جذْعاً من ذلك النبات المخدِّر الذي يحبِس الأحلام، ويُطلِقُ الأوهام .

مكبث : سيكون أبناؤك ملوكاً .

بنكو : ستكون أنت ملكاً .

مكبث : وقبلا غطريف كودور . ألم يقلن هذا ؟



بنكو : بالحرف . من القادم إلينا ؟

( يجيء رس وأنجوس )

رس : مكبث . لقد سر الملك بما جاءه من أنباء نصرَاتك ، فما وقف على تفصيل فعالك بجيش العصاة حتى تنافسَ فى نفسه العجبُ من بأسك ، والإعجابُ بحسن بلائك ، وحتى أخذته الدهشةُ فألقى السمع شهيداً ، صامتاً ، وتبين من أحوال ذلك اليوم ، وقوفك فى صفوف النروجيين الشجعان تنظر بلا وجل ، إلى صنوف المنايا التى أطلقتْها عليهم يدك ، كما تعاقبت به البُرُد ، ترى كالبَرَد ، تذكره عنك فى الحضْرة السَّنِيَّة وتعرِض معه آيات ذلك الدَّفاع عن الوطن .

أنجوس : إنا موفدون إليك بما جاشَ فى صدر مليكنا الجليلِ من الشكران ، ومبشروكَ بأنه بالغَ فى إعلاءِ قدْرك ، فأزمعَ من غدٍ زيارةَ قصرك .

رس : ثم أمرنى بأن ألقبك بلقب غطريف «كودور» ، فأذن أيها البطلُ المغوار أن أحييك بتحية هذا المنصِب الجديد .

بنكو : عجباً أيصدُق الشيطان ؟ !

مكبث : إن غطريف «كودور» لحىّ فلماذا تُلبسوننى كِساء غيرى ؟

أنجوس : كان حيًّا ولكن جاء الساعةَ نبأ قتله ، فأضاع لقبه ،

وحياته ، كليهما ، بحكم أوقعه عليه الملك لممالأته الأعداء على بلاده ، وثبوت الخيانة الكبرى عليه .

ميكبث (منفرداً) بالأمس غطريف « جلاميس » واليوم غطريف « كودور » والآتى فى الغد أعظم (مخاطباً رس وأنجوس) أحمد المليك إليكما حمداً سواء لتنزله إلى زيارتى ، وتفضله بالإنعام علىّ (مخاطباً بنكو) ألا تأمل أن يغدو بنوك ملوكاً وقد وعدهم بالتاج من تنبأ لى بمنصبِ « كودور » ؟ !

بنكو : قد تحملك المغالاةُ فى تصديق هذه النبوءات إلى ما وراء ولاية « كودور » ، بل إلى التاج ، ومن غريب ما تجىء به الأيام أحياناً ، أنها تجعل كلمة الصدق على ألسنة الأرواح الملهمة ، فإذا أظفرتنا ببعض المآرب الجائزة الصغرى دفعتنا من جرائها إلى الجوائز الكبرى (مخاطباً رس وأنجوس) يا بنى عم أسر إليكما بكلمة . . . (يحتلون) .

مكبث : (منفرداً) نبوءتان تحققتا ، فكانتا فاتحتين سارتين لمأساة جعلت خاتمتها أريكة الملك (مخاطباً رس وأنجوس) شكراً لكما أيها السيدان (منفرداً) هذا النبأ الغيبى ليس بطالح ، ولا هو بصالح ، إذ لو كان طالحاً لما جاء صدقُهُ فى الأولى شبه ضمانٍ على أنه سيصدقُ فى الأخرى — أما أنا الآن غطريف « كودور » — ولو كان صالحاً فما بالى

تخالجني أمنيَّة يقف لهولها شعر رأسي ، ويخفُق من وَجَلِها قلبي خفوقاً يُقَلْقِلُ الضلوع ،لمشهدُ الشيء أقلُ إرهاباً مما يخلق الوهم ،وإن فكري الذي لم تزل نية القتل فيه خيالا محيَّلاً ليثل مني عرشَ النهي ويزعزعُ في نفسي مملكةَ القوَى حتى ليفُل العزيمة ، ويغلِّب الآمال على النشاط للأعمال ، فإذا أنا والحاضِر عدم ، والمستقبل هو الوجود .

بنكو : انظر ما عرا صاحبنا من الدهشة .

مكبث : إذا أراد الاتفاق أن يجعلني ملكاً ففي وُسْعِه أن يتوجني بلا مَسْعاةٍ مني .

بنكو : إنه ليلبس هذه المفاخر الحديثة كما تلبس الحلة الجديدة ، ولا بد من كرور أيام حتى تستقيم الحلةُ على قَوام لابسها .

مكبث : ليكن ما هو كائن . مهما تكفهرّ وجوه الليالي العصيبة ، فإن ساعة لتجيء وإن الميقات لهو آت .

بنكو : سمعت من هذين النبيلين أن ملكنا « دنكان » لما عظُم اغتباطه ببلائك في أعدائه ، واجتمع أركان الدولة حوله يهنئونه ، قد منح كبير أنجاله « ملكولم » ولايةَ عهده ، فأصبح « دوقاً لكمبرلن » فإليك أزف هذه البشرى .

مكبث : (منفرداً) سرعان ما قام هذا الحائل الجديد ، دون وصولي إلى العرش (مخاطباً بنكو) أي فرحٍ بهذا الخبر العظيم ،

ولنعم الفتى هذا الذى أصبح الأدنى إلى الأريكة ، لا ينبغى لازدياد المصاعب أن تزيدنى إلا مَضاء عزيمة ، أيتها الكواكب وارِى أنوارك ، لئلا تنفُذَ أشعتهن إلى خفايا مقاصدى ، ولئلا ترى العين ما تصنعه اليد . ثم لا يحُل حائل دون إنزال ذلك الخطب ، الذى تختلج العين فرَقاً من رؤيته ، سأكتب منذ هذه اللحظة إلى قرينتى بما كان من هذه النبوءة ، فهى خيرُ معوانٍ الرأى والعمل .

بنكو : أى مكبث الشريف ، نحن رهن إذنك .

مكبث : مثلكم من عذر . كنت أنقب فى دماغى المضطرب عن بعض المنسيات . يا سيدَىَّ سأنقش ذكرى جميلكما فى سجل أعيد عليه نظرى كلَّ يوم . هلموا نلَق الملك . (إلى بنكو) تفكر فيما جرى حتى إذا نضجَ الرأى وجمعتنا فرصةٌ سانحة تكاشفنا بما تُكنُّه القلوب .

بنكو : ذلك إليك .

مكبث : والآن حسبنا ما كان ، تعالوْا يا أصدقائى .

(يبتعدون)

## المشهد الثانى

### قصر أنفرس — لادى مكبث (تقرأ كتاباً)

لادى مكبث : لا أسأم قراءة هذا الكتاب : « لقيتُهن وأيقنت بعد اختبارٍ أنهن صادقات ، وأنهن يعلمن ما لا يعلم الناس ، فلما استزدتهن بياناً توارين فى الهواء ، نبأننى أننى أكون غطريفاً " لكودور " فتم لى ذلك على أثر اجتماعى بهن ، إذ جاءنى رسلُ الملك ببُشرى هذا المنصب ، وتنبأن أيضاً عن المستقبل ، فقلن لى : سلام يا من سيكونُ ملكاً ، فلم أجد بداً من إبلاغ هذين الأمرين إلى حليلتى المحبوبة قَسيمةِ مجدى مخافةَ التباطؤ عنها بما لها من الحصة فى المسَرَّة العتيدة ، وفى المِنَصَّة السنية الموعودة ، فإذا عرفتِ ذلك فاطويه فى السريرة ، وعليكِ السلام ». أنت غطريف « جلاميس » وغطريف « كودور » ، وستكون ما ذكرت المتنبئات . غير أنى لا آمن عليك طبعك ، فإن فيه من لَين الشفقة ، ما يردك عن طلب غايتك . من أقوم طريق ،

تتمنى العلياء ، وفيك مطمع ، غير أنك فاقد المكر الذى يوصل إلى العلياء ، مرمى نظرك بعيد إلا أنك تبغى إدراكه من أطهر المسالك ، تأنف أن تستبيح ما حُرِّم من وسائل الالتماس ، ولكن لا تأنف من كسب غير المحلل ، قلبك مولع بالحصول على تلك النعمة التى تناديك : «هذا مأخذى فخذنى» . بيد أنك تخشى مباشرةَ الفعل الذى يؤدى إلى ذلك الربح ، ولو فعله غيرك لما ساءك ، فتعال لأفرغَ فى أذنك الحماسة ، والشجاعة ، تعال لأزيلَ ببأسِ لسانى ضَعفَ نفسك ، وأبدِّدَ الوساوسَ الدنيئة ، التى تعوق يدَك عن غصْب الإكليل الذهبى ، الذى تريدا لمقادير إرادةً ظاهرة أن تضعه على جبهتك .

( يدخل الخادم )

الخادم : مولاى مكبث .

لادى مكبث : أليس فى موكب الملك ؟

الخادم : قَدِم قبل الموكبِ ليكون فى لقاء الملك حين وصوله ، وقد جاء بهذا البلاغ غلام من أتباع مولاى . قَتَلَ دابته رَكْضاً ووصلَ لاهثاً منقطعَ النفس مبحُوحَ الصوت .

لادى مكبث : انصرف وأحسن علاج الغلام ، فإنه آت ببشرى .

( يخرج الخادم )

لادى مكبث : ( مستمرة على انفراد ) وهذا الغراب الذى يَنْعَبُ وينعقُ إيذاناً بحلول « دنكان » فى فناء قصرى ، هو أيضاً مبحوحُ الصوت كذلك الغلام . إلىّ أيتها الأرواحُ التى توحى نيات القتل ، جرّدينى من أنوثتى ، أفعمينى جفوةً وقسوة من رأسى إلى قدمى ، أقفلى فى ضميرى كل منفذ تنفذ منه الشفقة ، لا تأذنى للرحمة أن تُلَطِّفَ شرّتى ، أو تكفّ يدى ، حوّلى فى ثديي لبنَ المرضع إلى سُمٍّ نقيع ، أسعدينى يا جنيات الهلاك ، وافدات من كل مكان تشهدنَ فيه بلاءً وشرًّا . وأنت أيتها الليلة الليلاء ، أرخى علىّ من سُدُولك ، وائتزرى بكسْف من دُخان السعير ، حتى لا يرى خنجرى المسنون موقعه من الطّعين ، وحتى لا تدعى لمتطلّع من الشعاع مسلكاً ينظرُ منه ما تحت غِطاء السماء ، فيرى أسرار جريمتى ، ويصيح بى : مكانَك مكانَك

( يدخل مكبث )

لادى مكبث : ( مستمرة ) أى جلاميس العظيم . أى « كودور النبيل » ، أى صاحبَ اللقب الذى سيكون أكبر منهما ، إن كتابك قد نقلنى على أجنحة الآمال ، إلى ما وراء الحاضر ، وما الزمانَ إلا المستقبل .

مكبث : يا حبيبتى إن « دنكان » لآت .

لادى مكبث : ومتى يبرح ؟

مكبث : يبرح غداً . . . هذا إزماعه .

لادى مكبث : لن ترى الشمس طلعة ذلك الغد ، إن مُحياك يا مولاى لصحيفة نقرأ فيها بعض عظائم الأمور ، غير أنه لا بد من مخادعة الناس بالتشبه بهم ، فليصحبْ لحظك ولفظك وإيماءك إقبالٌ على الناس بالبشر ، وإكرام الوفادة ، ومتى ظهرت للناظرين بمنظر الزهرة الطاهرة ، فكن الحيةَ المختبئةَ دونها ، لنلق ضيفنا بنهاية الإجلال ، ودع لى ما ينبغى فعله فى هذه الليلة التى ستكون إلى آخر ليالى الدهر مبدأ تفردنا بالسيادة ، والسعادة .

مكبث : أسمع البوق المؤذن بدنو الموكب ، سنعود إلى هذا الحديث ، تحقق من حسن الاستعداد فى البيت .

لادى مكبث : ( وهى خارجة ) من الخطر أن يتكلم الوجه. فليكتم جبينك ما فى قلبك ، وأنا الكفيلة بالباقى .

مكبث : ( منفرداً ) لو أن العمل إذا تم مضى ، ولم يعقب شيئاً لكان الخير فى الإسراع ، والخيرةُ فى الواقع . لو أن جريمة القتل إذا اقترفت ، لم يكن لنتائجها لفتةُ سوء إلى مقترفها ، لكان الإفلاح فى الإنفاذ . لو كانت ضربةُ القاتل لا تُعقِبُ أمراً فى هذه الحياة الأولى ، لما أغليت

قيمة الحياة الأخرى . ولكن إزهاق الروح إنما هو من الجرائم التى يماشيها عقابها فى الدنيا . فمن سفكَ دم غيره ، عرض دمه للسفك ، ومن دس سما فى كأس ، قضى العدل عليه قضاءً لا مرد له بأن يعيد الكأس إلى شفتيه . الرجل هنا يعصِمهُ منى عاصمان ؛ قرباه لى ، وتبعيتى له ، ثم هو ضيفى ، ويتعين له علىّ أن أقفِل بابى فى وجه من يبغيه بسوء ، فكيف بى وأنا أطعنه بخنجرى ؟ على أن « دنكان » هذا قد تلطّف فى حكومته ، واعتدل فى سياسته ، واستقام فى سيرته ، حتى أصبح لو امتدت إليه يدٌ بأذى لوَثبتْ فضائله من مكانها ، وثبة الأرواح العلوية من موطنها ، تُنَوِّه بذكره ، وترتلُ بشكره ، وتثير نفوس القساة ، والرحماء على قتلته الرحماء ، بل لهبّت الشفقة أشبهَ شىء بروح الطفل ساعة مولده ، أو بأحد الملائك الممتطينَ جياداً غيرَ منظورة وأبدتْ للناظرين شناعة تلك الفعلة ، فاستمطرتْ عيونهم من الدموع ما لو صادف ريحاً عاتيةً ، لأهبطها تحتَ وابله ، على أنّه ليس لى من باعث على قضاء أمنيّى سوى مطمع وثب إلى السرج فجاوَزَه بقوة اندفاعه وهوَى فى الجانب الآخَر .

( تعود لادى مكبث )

مكبث : (متمماً) أكل شيء على المرام ؟

لادى مكبث : على ما يرام ؛ ولم تبق إلا دقائق معدودات ، حتى تحل تلك الركاب فى هذه الرّحاب .

مكبث : يبدو لى أن نقف من هذه المسألة عند هذا الحد، فلقد جاد الرجل على بمفاخر جديدة ، لبستها لُبسةً بهيجة ، أمام العالمين . ولا يهون على نفسي أن تعرَى وشيكاً منها ، بل يجدر بى أن أستمر على لبسها زمناً وهى فى رونقها .

لادى مكبث : أكان سكران ذلك الأمل الذى داخلك حيناً ، أم نام بعد ذلك ، حتى إذا صحا بدا شاحباً كمداً ، كأنه يشعر بصغره ، دون عظم القصد الذى أقدم عليه ؟ إن عقيدتى بعد الآن فى حبك لا تزيد شيئاً عما اعتقدته فى مضائلك . أتخشى أن تسمو أفعالك إلى رتبة آمالك . . . أتريد أن تملك ما تعده زينة الحياة الدنيا ، من غير أن ترقى فى خاصة نفسك من مكانة الجبان ، الذى يدفعه الأمل ، ويمنعه الوجل ، كذلك السنور الذى قيل إنه يحب الماء ، ويكره البلل ؟

مكبث : أرجو ألا تزيدى ، أنا أجرأ على ما يليق بالرجل أن يعمله . فمن جرؤ على أكثر فليس برجل .

لادى مكبث : إن كان هذا كل أمرك ، فما البلاهة التى حدتك على

إبلاغي هذه النية ؟ تلك نية حين عقدتها كنت رجلا ، فلو أنفذتها ، وسما قدرك إلى أوج العلياء ، لما ازددت إلا رجولية . . . منذ هنيهة لم تكن الفرصة ، ولا الساعة بمسعدتين لك على ما ابتغيت فأقدمت على إيجادهما ، لتحقيق إربتك ، أما الآن وقد سنحتا بلا إبطاء فإن مشيئتك لتهي . لقد وضعت فأرضعت ، فعرفت كيف تحنو الأم على الطفل العالق بثديها . فوحقك لو عاهدتُ نفسي . على مثل ما عاهدتَ عليه نفسك ، لانتزعتُ رضيعي عن نهدى إذ هو باسم يرنو إلىّ ، وهشمت رأسه قبل أن أحنث .

مكبث : لكن ما حالنا إذا لم نفلح .

لادى مكبث : كيف لا نفلح ، شدّد عزمك إلى الشأو المطلوب ندركْ يقيناً ما نشاء . متى ران الكرى على عيون « دنكان » وأماله الإعياءُ من السفر فسأسقى حاجبيه من النبيذ الممزوج بالعقاقير فوق ما يُطيقان ، فيسكران سكراً يفقدان معه الذاكرة ، حارسة العقل ، فتتصاعد كالدخان ، ويصبحُ رأس كل منهما كالإنبيق ، فإذا ناما غريقين بالخمر نوماً شبيهاً بالموت ، كان أيسر شيء علينا و « دنكان » فى عزلته ، وانفراده ، أن نقضى عليه



كما نهوى ، ثم أن نترك على ضابطيه عَلَقاً من الدم يُثبتُ بلا ريب أنهما هما القاتلان .

مكبث : لا تلدى إلا صبيةً ذكوراً ، لأن الفطرةَ الجافيةَ التى فُطرتِ عليها ، لا ينبغى أن تنتج غير الفحول . إنا إذا فرغنا من تلطيخ ذينك الحاجبين بالدم واستخدمنا لمأربنا خنجريهما ، فمن ذا يشك فى أن تلك الجنايةَ إنما هى من صنع أيديهما ؟ !

لادى مكبث : ومن ذا الذى يخطرُ على باله غير ذلك ، حينما نجهر بالإعوال ، ونجهشُ بالبكاء أسفاً على موت ذلك الفقيد ؟ !

( يسمع معزف ) .

مكبث : هذا هو المعزف المؤذن بوصول الملك . هلم نتلقه بوجه صاف فإن خدعَ الظواهر هى خير ما تخبأ به مفاسدُ الضمائر ، أما أنا فقد نويت فأمضيت ، وسأعمل كل قوى جسدى ، وقلبى ، لتحقيق هذه الأمنية الرائعة

( يتجه نحو الباب فإذا الملك يدخل )

( الملك . بنكو . لينكوس . دوبلنان .

ملكولم . رس . أنجوس . حشم )

الملك : لا تعجب من مفاجأتى ، فقد نسيت شيخوختى ،

أو تناسيتها حيناً ، وأسرعت لأدرك اللادى مكبث وقرينها النبيل قبل أن يحملا مشقة السعى للترحيب بنا .

لادى مكبث : لقد تفضلتم يا مولاى نهاية التفضل ، وما من مشقة نحملها فى السعى لخدمة جلالتكم إلا نعدها راحة لنا ، وغبطة . وحسبنا شرفاً وتيهاً على الزمان وأهله تشريفكم هذه الدار ، بزيارتكم المنيفة .

الملك : كل إكرام يسيرٌ فى جنب ما قام به « مكبث » من جلائل الأعمال لخدمتى وخدمة بلادى ، بالصدق والأمانة (مخاطباً مكبث) يابن عم النبيل لقد عددت إبطائى عن مكافأتك تفريطاً شديداً منى فى حقك ، على أن ذلك الإبطاء إنما جاء من فرْط إسراعك فى متابعة النصر بالنصر ، فلم يتسنَّ للجزاء الجميل أن يلحق بك . ليكفك منى أن أقول : إن مالك على من الدَّيْن الآن ، لا يفى به كل ما على الأرض .

مكبث : الخدمة المؤداةُ بالولاء المحتوم ، إنما تكون مكافأتها معها ، وما على جلالتكم إلا أن تسمحوا بقبول ما نقوم به من الواجب المقضى لعرشكم ، وللحكومة . ومهما تعظم الأعمال التى تصدر منا ، فإن هى إلا أدنى ما يجب إخلاصاً لكم ، وتأييداً لمجدكم .

دنكان : حبًّا لك وكرامةً لقد غرستك، وسأتعهدك حتى تبلغ الغاية من النمو ، أما أنت أيها الشريف « بنكو » ولا تقلُّ قدراً عن « مكبث » فإنى أنوِّهُ بعالى صفاتك وأقبلك من قلبى .

بنكو : إن كانت لى محامد فهى من بِذَار فضلكم ، وإليكم حصادُها .

دنكان : إن فرْطَ السرور ليوشك أن يبكينا . أيها الأبناءُ ، والأهلون ، والغطاريف الأقربون إلينا ، اعلموا أننا جعلنا منذ أمس كبيرَ أنجالنا « ملكولم » وليًّا لعهدنا ، وإن آلاءنا عليه ، وعلى كل من يستحقها منكم ، ستملأ صدوركم بالكواكب ، وآفاقكم بالأنوار (مخاطباً لادى مكبث) أيتها المضيفةُ الشريفة ، إن الغرام ليكون فى أكثر أمره عذاباً ، ولكننا نستعذبهُ لأنه هو الغرام ، وإنما أذكر لك هذا ، لأعلمك كيف تحمدين الله إلينا على ما حمّلناك من العناء والكلفة .

لادى مكبث : لو جعلنا خدمتنا لجلالتكم أضعافاً مضاعفةً ، لما كانت أدنى شيء بجانب الشرف العظيم ، الذى أوقرتم به كواهلَ بيتنا ، فإذا أضفنا إلى هذا الفخر ما استجد من إحسانكم إلينا بالألقاب الجديدة ، لم تكف الأدعيةُ كلها ، لوفاء بعض مالكم علينا .

٤٣

الملك : أيتها السيدةُ النبيلةُ ، إنى لملىءٌ بالسرور . إيذنى بانصرافنا عنك هنيهةً حتى لا يكون منى ومن هؤلاء السادة إسراف فى وقتك النفيس .

( ينصرفون )

# الفصل الثانى

## المشهد الأَول

### فناء داخلى فى القصر

بنكو : أين نحن من الليل يا ولدى ؟

فليانس : القمر غائب ، ولم أسمع الواقتة .

بنكو : يغيب القمرُ فى انتصاف الليل ؟

فليانس : أظن أننا جاوزنا النصف .

بنكو : خذ . هذا سيفى – السماء تقتصد الليلة ، فقد أطفأت مصابيحها – ران الكرى على عينى ، كأنه الرصاص بثِقْله ، على أنى غير راغب فى الرقاد . أيتّها القوى الرحيمة صُدّى عنى الوساوس السيئة التى تأذن بها الطبيعة ، فتمرُّ فى خلال النوم .

(يدخل مكبث وخادم بيده مشعل)

بنكو : (متمماً) أعد إلى سيفى (مخاطباً مكبث) من هنا ؟

مكبث : صديق .

بنكو : عجباً يا مولاى ، أإلى الآن لم تضطجع ؟! لقد هجعَ

الملك وكان سروره فوق المألوف ، أغدق النعم على رجالك جزاءَ ما أتقنوا من الخدمة ، وبعث بهذه الألماسة إلى امرأتك ملقِّباً إياها بأرقِّ ألقاب ربات المنازل ، ثم اختلى وبه من الابتهاج ما لا يُحد .

مكبث : لو لم نفاجأ بهذه الزيارة مفاجأةً رجحتِ التفريطَ على الإفراط فيما تدعونا إليه النفس ، لما وقفنا عند حدّ دون القيام بالواجب .

بنكو : كل شيء جرى على أحسن ما يبتغى ، أتوهم أنني سأرى الأخوات المتنبئات فى أحلام هذه الليلة لقد صَدَقتْكَ بعضَ الخبر .

مكبث : صرفتهن من فكرى لغير معاد ، غير أنها إذا عرضت ساعةٌ للتكلم فى هذا الشأن وطاب لك ذلك فعلنا .

بنكو : الأمر إليك .

مكبث : فإذا توافقت مرامى نظرَينا عند سنوح الفرصة ، كان من ذلك لك جاهٌ وتشريف .

بنكو : ما لم أنتقصْ شرفى من حيث أحسبنى طالباً له المزيد ، وما لم تَشُبْ شائبةٌ عفافى وإيمانى ، فعندئذ أنتصحُ بنصحك

مكبث : ليطب ليلك على هذا الرجاء .

بنكو : حمداً يا سيدى وليطب ليلك .

(يتوارى بنكو وفليانس وأحد الخادمين)

مكبث : (مخاطباً الخادم الآخر) اذهب فقل لسيدتك ، أن تقرع الجرس متى أعدّتْ لى شرابى ، ثم اذهب إلى مرْقدك (يخرج الخادم) أهذا خنجر يلوح لى مُتَّجهَ المقبض نحو يدى . أنلنى منك ما تنضم عليه الأنامل . تفر ، ولكننى ما أنفك أراك ، ألا يقع عليك اللمس كما يقع النظر ، أم لستَ غيرَ خنجر مخيَّل من وضع فكر ذاهل مخبَّل ؟! على أننى أجدك — ومنالك من كفى منال هذا الخنجر الذى أجرده الآن من قرابه — تمشى أمام لتهدينى سبيلى وتتمثلَ بين يدى أشبهَ بالخنجر الذى كنت عازماً على الطعن به . لعيناى بانفرادهما خيرٌ من جميع حواسى الأخر . أو شدّ ما هما مخدوعتان ! إنك لنُصْبُ مقلتى لم تبرح ، وإنى لأتبين منك على الشفرة والمقبض ، قطرات دم ، لم تكن عليهما منذ حين لا وجودَ لشىء من كل هذا ، ولكن نية القتل هى التى تغشى نظرى ، بآية من سحرها . فى هذه الساعة تهدأ الطبيعة فى شطر من شطرَى هذه الكرة هدوءَ الموت ، وينخدع النيام بأحلام سيئة ، تخامرهم فى مضاجعهم . فى هذه الساعة تقدم الساحرات

للهرة الصفراء الجنية هيكات قُربانَ الظلام . فى هذه الساعة ينهض الاغتيال عاريَ الأشاجع ، ضامرَ التجاليد ، سامعاً عُواء الذئب ، والذئب حارسه ، الذى يعين له بصوته الميقات ، ويعطيه الشِّعار فيزحف مُنساباً ، صامت الخطى ، زحف السلاب ، ويسطو بفريسته — أنتِ أيتها الأرض الصلبة الوطيدة ، لا تسمعى وقع أقدامى ، واجهلى الطريق التى يسلكانها مخافة أن تدل أحجارُك على المكان الذى أذهب إليه بقعقعة ينفرُ منها السكوت الرهيب ، الذى هو أصلح شىء لمثل هذه الساعة . إلا أنى أهدده ، وإنه لحى لم يزل . لا شىء يبرد حرارة الفعال ، كالإكثار من الأقوال (يسمع قرع الجرس) لنمض فيما نويناه . الجرس يدعونى . لا تسمعه يا « دنكان » . إنه لصوت المشيع الذى يصحبك ، إما إلى النعيم ، وإما إلى الجحيم .

(يتوارى)

## المشهد الثانى

### المكان نفسه – تدخل لادى مكبث

لادى مكبث : الذى أسكرهم شجعنى ، والذى أقعدهم أنهضنى . أصغوا ، أصغوا ، هذا نعيب البوم . هذا نعيق الساحر المشئوم ، يُمسِّى نوامَ هذا الليل بالثُّبور والويل ( تشير إلى مكبث ) هو الآن يعمل عمله . الأبواب مفتحة . والعسسُ يغطون فى سبات مكتظين إلى الحلوق بخمرة ثقُلَ ما مزجتها به من المذهل ، فهم أحياء ، وليسوا بأحياء .

مكبث : ( من الداخل ) هيا – من هنا .

لادى مكبث : ويحى ! أخشى أن يفيقوا قبل أن يقضى الأمر ، فنهلكَ لا محالة – سمعاً – جعلت خناجرهم بحيث يراها . لو لم أجده وهو نائم شبيهاً بأبى لطعنته بيدى .

( يحضر مكبث )

لادى مكبث : ( متممة ) زوجى ؟

مكبث : قضى الأمر . ألم تسمعى صوتاً ؟

لادى مكبث : سمعت البوم والصُّرصُر . ألم تتكلم ؟

مكبث : متى ؟

لادى مكبث : منذ هنيهة .

مكبث : حين كنت نازلا ؟

لادى مكبث : نعم .

مكبث : أنصتى . من النائم فى الغرفة الثانية ؟

لادى مكبث : دونكان .

مكبث : (ناظراً يديه) هذا شيء قبيح الرؤية .

لادى مكبث : من الجنون أن تسمى هذا قبيحاً .

مكبث : ضحك أحد الحارسين فى نومه وصاح الآخر يا للقتيل ، فأيقظ كل منهما صاحبه ، ثم غمغما دعاء واستغرقتهما سِنةُ النوم .

لادى مكبث : هما اثنان فى الغرفة الواحدة .

مكبث : صاح أحدهما : ليبارك الله فيك ، وأجاب الآخر « آمين » ، كأنهما رأيانى بهاتين الكفين الأثيمتين . أما أنا فقد سمعت ما أوحاه إليهما الخوفُ من الدعاء لى ، ولم أجسر أن أجيب « آمين » .

لادى مكبث : لا تنظر إلى المسألة من هذا الوجه السيئ .

مكبث : لماذا لم أستطع أن أجيب « آمين » أحوجَ ما كنت إلى

البركة ؟ أوشكت أن أفوه بها ، فذابت بين شفتى قبل أن أتلفظ .

لادى مكبث : هذه الأمور ليست مما يُتوسَّمُ على هذه الصورة ، وإلا أضيع فيها الرشد .

مكبث : خيل إلى أن صارخاً كان يصرخ بى : « لن تذوق المنام » إن مكبث قد قتل الرقاد . . . الرقاد البرىء . محللَ عقد الهموم ، أجل الحياة اليومية ، حمامَ المشقات الأليمة ، بلسمَ القلوب الجريحة ، أحدَ الينبوعين اللذين تصدر عنهما الطبيعة الكبرى أولَ غذاء فى وليمة الحياة !

لادى مكبث : ما مرادك من هذا ؟

مكبث : ثم استمر ذلك الصوتُ الذى ملأ البيت بأصدائه يصيح بى : « لن تنام يا قاتل الرقاد . جلاميس . كودور . مكبث لن تنام » .

لادى مكبث : من كان يصخبُ هذا الصخب أيها الغطريف الشريف ؟ لم تكنْ حقيقاً بأن يصدُرَ عنك مثلُ هذه التخاريف الدالة على إصابة بالعقل . اذهب والتمس شيئاً من الماء تغسلْ به عنك آثارَ التهمة . . . لماذا لم تدع هذين الخنجرين فى مكانهما ؟ لابد من بقائهما فيه فأعدْهما

إليه ، ولا تنس أن تشوب الحارسين النائمين بأعلاق
من الدم .

مكبث : لن أرجع إلى ذلك المكان . وإنى لأصطلك فرَقاً من
غدْرَتى بالرجل ، فما أجسرُ أن أراه بعد .

لادى مكبث : يا أيها الرجل الرعديد ، أعطنى الخنجرين . إن النائمين
والموتى لأشبهُ بالصور المصورة . والشيطان المرسومُ لا سلطان
له إلا على عقول الأطفال . إذا كان دمه لا يزال ينزفُ
لطخت به وجه الحارسين . . . إذ لابد أن يظهرَ أن
الجرم جرمهما (تذهب ويسمع قرع بالباب الخارجى)

مكبث : لماذ يقرع الباب ؟ مم يتأتى ؟ إنّ أدنى جلبة تخيفنى
(ينظر يديه) ما هاتان اليدان . آه إنهما لتُرهبانى . ليس
فى وُسع البحار كلها ، أن تطهر كفى من هذا الدم ،
بل هما اللتان تخضبان بحمرة ما على تلك الخضَمّات
الشاسعة ، من مَسحة الخضرة (تعود لادى مكبث) .

لادى مكبث : هاتان يداى بلون يديك ، لكننى أخجل أن يكون لى
قلب هيّابة كقلبك (يقرع الباب) أسمع قرْعاً بالباب
الجنوبى . لنعدْ إلى حجرتنا وحسبنا شىءٌ من الماء ،
لنغسل ما كان منا . أتبينت ؟ ما أسهل الأمر ، لقد
زايلك ثباتُك ، وصدقُ عزمك (يقرع الباب) اسمع .
ما زال الباب يطرق ، اذهب ، والبسْ قميص النوَم ،

فربما اضطررْنا للظهور ، وما ينبغى أن يلمح أحد أننا لشىء ما سهرنا آخر الليل . تحرك من جمودك ولا تستغرق هكذا فى الكآبة والتفكير .

مكبث : أما من وسيلة لأنسى نفسى ، وأنسى ذنبى (يطرق الباب) نبه دنكان بقرعك المتوالى ، ليته يستيقظ .

(يخرجان)

## المشهد الثالث

### المكان عينـــه

( يجيء البواب )

البواب : هكذا الطرْق وإلا فلا . . . أيما رجل وكلَ به باب جهنم ، فإنه لكثير العمل بتقليب المفتاح ، ( يقرع الباب ) دق . دق . دق . من الطارق باسم الشيطان « بعلزبول » ؟ أمنَ المزارعين ؟ حسن مجيئك ، وإن ساء محصولك ، هيئْ ما استطعت من المناديل ، فإنك ستعرق ههنا ( يقرع الباب ) دق . دق . من أنت ؟ باسم أيما إبليس آخر ؟ أكزوستى من الأطهار الورعين المرائين بالدين ؟ يتعلقون بإحدى الكفتين من ميزان الله لإعلاء الكفة الأخرى ؟ وطالما ارتكبوا الخيانات ، زاعمين أنها فى سبيل الله . يخادعون ربهم ، وإنما أنفسهم يخدعون ، واها ! ادخل يا سيدى الكزوستى ( يقرع الباب ) وذمتى إن هذا إلا خياط إنكليزى جاوزَ الحدّ فى الاقتصاص ، فجىء به للقصاص ، ادخل يا أيها الخياط وضع بطنك على النار ( قرع ) دق . دق . لا راحة ألبتة . من أنت ؟ هذا الفناء أبرد من أن يسمى

بجهنم . أبى الله بعد الآن أن أمكث ههنا . أبوّابُ الشيطان أنا ؟ بل أريد أن أكون بحيث ألقى أناساً من كل جيل ، وصناعة ، ماشين بين المروج النضيرة ، إلى الزينة النارية السرمدية (قرع) أنا قادم. أنا قادم (يفتح الباب) متى بلغتم تلك الزينة فلا تنسوا هذا البواب .

(يدخل مكدف ولينوكس)

مكدف : كأنى بك يا صاحبى قد أطلت السهر فلست بمبكر .

البواب : الحقّ يا مولاى أننا مكثنا نتعاطى الكؤوس إلى أن صاح الديك صياحه الثانى . والشرب يا مولاى له — كما لا يخفى عليكم — ثلاث آفات كبيرة

مكدف : ما تلك الآفات الثلاث ؟

البواب : سهل بيانها يا سيدى : حمرة المعطس ، وغلبة النعاس ، والحاجة إلى تصويب الرأى بكلام أحلى من إخراج الماء الملح من الجسم .

مكدف : أأفاق مولاك ؟ أراه مقبلا ، وأحسب أن مطارقنا هى التى أيقظته .

(يدخل مكبث)

لينوكس : عم صباحاً أيها السيد الشريف .

مكبث : سلام أيها الصاحبان .

مكدف : أنهض الملك أيها السيد ؟

مكبث : لم ينهض بعد .

مكدف : أمرني أن ألقاه مبكراً ، وأخشى أن أكون متأخراً .

مكبث : سأصحبك إلى مكانه .

مكدف : هذه مشقة تتحملها عن رضًى لخدمة الملك . ولكنها مشقة .

مكبث : لا تعب فيما يسر ، هذا هو الباب .

مكدف : سأتسامح في الدخول دونك ، قضاء لواجبي ( يتوارى مكدف )

لينوكس : أيسافر الملك اليوم ؟

مكبث : هذا ماينو . ( يصحح ) ما نواه بالأمس .

لينوكس : الليلة كانت عصيبة ، وقد قلبت العاصفة مواقد الغرف التي بتنا فيها ، ويقال : إنه سمعت في الجو صيحاتُ ألم ، وصرخاتُ موت ، وجلبة مخيفة ، اختلفت فيها الأصوات ، وأنذرت بكوارث هائلة ، وحوادثَ شديدة متلبسة ، ومستقبل حفيل بالفوادح ، فما انقطع نعيب البوم مدة الظلام ، وزعم بعضهم أن الأرض أخذتْ بِهِزة حمى فزُلزلتْ

مكبث : لشد ما ساءت هذه الليلة !

لينوكس : لا أذكر — وإن كنت في اقتبال الشباب — أنني رأيت كأهوالها . ( يعود مكدف )

مكدف : يا للفظاعة ! الفظاعة الفظاعة ! يقصر الفكر عن تصورك ، ويضيق الوصف عن الإحاطة بك .

مكبث ولينوكس : ماذا حدث ؟

مكدف : هنا أتى شيطان الدماء بأشنع ما يقدر عليه . هنا استبيح أحرم الدماء ، وحطمت أبواب الهيكل المقدس ، فأخرجت منه حياة السيد .

مكبث : أية حياة ؟

لينوكس : أتتكلم عن جلالة الملك ؟

مكدف : ادخلا الغرفة ، واعميا بما تريان من الخطب الجلل ، ثم لا تسألاني أن أنبس بلفظة ، بل انظرا وتكلما أنتما.

( يذهب مكبث ولينوكس )

مكدف : ( متمماً ) قياماً . قياماً ، ليقرعْ جرسُ الاستصراخ . اغتيال . خيانة . بنكو . دونلبان . ملكولم . هبوا من مضاجعكم . ألقوا عنكم ذلك الرقادَ الهادئ الذى لا يحسنُ التشبهَ بالموت . . . وتعالوا انظروا الموت بعينه . نهوضاً . نهوضاً . اشهدوا يوماً يريكم كيف تكون خاتمة الدنيا ؟ ملكولم . بنكو . انبعثا من قبريكما ، وادنوا دُنو الطيفين ، لتتم بكما روعة هذه الرؤية . ( تجيء لادى مكبث )

لادى مكبث : ماذا جرى ؟ لم هذا الاستصراخ الذى أيقظ كل نائم فى

البيت . تكلم . تكلم .

مكدف : أيتها السيدة الرقيقة ، الذى أقوله لا ينبغى أن يصل إلى أذنك ، لأنه نبأ لو سمعته امرأة لأوْدَى بها .

( يدخل بنكو )

مكدف : ( متمماً ) أى بنكو . بنكو — قتل مولانا . ملكنا .

لادى مكبث : يا ويلتى . أفى دارنا ؟

بنكو : هذا مصاب فادح أيّاً كانَ منزله ، يا صديقى مكدف . أتوسل إليك أن تراجع نفسك ، وتنفىَ ما ذكرت .

( يعود مكبث ولينوكس )

مكبث : ليتنى مت قبل هذه الفاجعة ، فأكون أسعدَ حالا . إذ لم يبق بعد الآن شىء يعز فى هذه الدنيا . بل كل ما فيها هزْء ، وسخرية . أودى المجد . أودت الفضيلة . ولم يمكث فى كأس الحياة إلا ثُمالةٌ من صاب .

( يجىء ملكولم ودونلبان )

دونلبان : ما خطبكم ؟

مكبث : ذلك خطبك خاصة وتجهله . إن الينبوع المستمدٌ منه دمُك قد جف ، ولن يجرىَ ماؤه أبد الآبدين .

مكدف : قتل أبوك الملك .

ملكولم : بيد من ؟

لينوكس : الخادمان اللذان باتا في غرفته ، هما قاتلاه على ما يظهر ، فإن وجهيهما وأيديهما كانت ملطخةً بالدماء ، وكذلك خنجراهما اللذان وجدا بجانبهما ، ولم يمسح العلَقُ عنهما . وكانت عيونهما جاحظة ، ولونهما شاحباً ، ولا جرم أنهما لم يكونا من الأناسيّ الذين يؤتمنون على حياة أيما إنسان .

مكبث : أوه إنى نادم على بدارى بقتلهما .

مكدف : ولم فعلت ؟

مكبث : فى مثل تلك اللحظة أيستطيع أحد أن يكون فى آن حليما ومستشاطاً ، هادئاً وثائراً ، مخلصاً وغير مكترث ؟! كلا . غلب الحب على الرأى ، فسبق العذل . نظرت ودنكان صريع بجانبى يتدفق الدم أرجوانيـًّا زاهراً من صدره ، كأن جروحه النجلاء ثغور فتحت فى معقل الحياة ، فنفذ إليه منها التلفُ ، والموت . ثم نظرت فإذا القاتلان فى الجانب الآخر وخنجراهما نديـَّان بالدم إلى قرابيهما . فمن الرجلُ الذى كان يستطيع التجلُّدَ وفى جسمه قلب يحب ، وفى قلبه شجاعة تمكنه من تلبية ما يدعوها إليه الولاء ؟

لادى مكبث : (متظاهرة بالإغماء) أقصونى عن هذا الموضع .

مكدف : أدركوها بالعناية .

ملكولم : علام نجمُ صامتين ونحن أولياءُ هذا الدم ؟

دونلبان : ماذا عسانا أن نقول ههنا والموتُ كامن لنا ، متهيئ للوثوب بنا ، بين اللحظة واللحظة ؟ لنرحل . فإن دموعنا لم تنضجْ ، فتتساقط .

ملكولم : أجل . ولم يحن تظاهرنا بشدة ما حاق بنا من الآلام .

بنكو : لتحمل لادى مكبث إلى حيث تداوى (تحمل) .

بنكو : (متمماً) متى لبسنا ملابسنا فاتقينا تأثير الجو فلنجتمع باحثين ونسبرَ غور هذه المكيدة السيئة . نحن بين المخاوف والريب ، ولكننى فيما يعيننى أجعل نفسى تحت يد الله الواسعة القوية مستمداً عونها لمتابعة الخونة ، أية كانت النيات التى تخالج ضمائرهم .

مكبث : أعا هدك على هذا .

الجميع : وإنا لمعاهدون (يخرجون إلا ملكولم ودونلبان)

ملكولم : علام أنت عازم ؟ نحن لا ينبغى لنا الاشتراكُ مع هؤلاء لأن المداجاةَ بالحزن مشقة على النفس ، سأمضى إلى إنجلترة .

دونلبان : وأنا إلى أرلندة ، على أن افتراقنا أصونُ لنا . هنا تسطعُ الخناجر تحت البسمات . . . هنا أقرب الناس إلينا بصلة الرحم هم أشد الناس علينا خطراً .

ملكولم السهم المصمى لا يزال منطلقاً فى الجو ، فلا نستهدف لوقعه ، لنركب جوادينا من غير توديع . ولنفرّ بلا مهل . فإن الهزيمة حيثما امتنعت الرحمة رأى وغنيمة . (يخرجان) .

( يدخل رس )

رس : لقد تواريا كأنهما مريبان ، أصدق المرتابون فيهما ؟ يا للعجب لم ير أطعن الشيوخ فى السن ليلة عصيبة كهذه الليلة ، فكأن الطبيعة تنتقم من الأرض التى حدثت فوقها تلك الجريمة . رأيت بعينى جياد ذلك الملك المسكين وهى خيرة الجياد تستوحش ، وتتناهش ، كأنها جزعة ، حزينة ، غاضبة على الناس .

( يدخل مكدف )

رس : إيهاً مولاى . هل عرف الذى جنى تلك الجناية ؟

مكدف : أتسأل عن الذين قتلهم مكبث ؟

رس : ويح القاتلين ! ماذا كانوا يرجون ؟

مكدف : غرتهم الرشوة . لقد توارى ملكولم ودونلبان ، نجلا الملك فوقعت التهمة عليهما .

رس : أليس مما ينفر الفطرة أن يعتدى الإنسان على مصدر حياته؟ وإلى من يقع التاج إذن يا مولاى ؟

مكدف : لقد وقع إلى « مكبث » منذ الساعة ، وعُين يومُ تتويجه فى

« سكونا » قبل أن يعين الوقت لدفن الملك الفقيد .

بنكو : أتشهد يوم التتويج فى « سكونا » ؟

مكبث : بل سأذهب إلى قصرى بفايف . وزعمى بل خشيتى أن تكون الثياب الجديدة ، أقل ملاءمة لأجسامنا من الثياب العتيقة .

( يذهبان )

## الفصل الثالث

## المشهد الأول

فوريس – قسم من القصر

( يدخل بنكو )

( بنكو : لقد أصبحت الآن ملكاً بعد ظفرك بمنصبَىْ « كودور » و « جلاميس » فتم لك كل ما ذكرته الأخوات المتنبئات ، بيد أنني أخشى أن تكون قد بلغت إلى هذا المقام على يد الكيد والإجرام . على أنهن ذكرن أن التاج لا ينتقل إلى ذريتك. بل إلى سلسلة طويلة من نسلى . فأما وقد صدقن فى جانبك – على ما رأينا – فكيف لا يصدقن فى جانبى؟ ولم لا يسوغ لى أن أرجوَ خير ما يرجى ؟
( يسمع بوق ) صه إنه آت .

( يدخل مكبث ملكاً . لادى مكبث ملكة .

لينوكس . رس . نسوة . أعيان . حشم )

مكبث : هذا أجلُ ضيوفنا الليلة .

لادى مكبث : لو نسيناه لأصيبَ اجتماعنا بنقص يؤسف له .

مكبث : الليلة أيها السيد نأدِبُ مأدبةً حفيلة ، ونبتغى لها حضورك

بنكو : لك الأمر يا مولاى . وعلى لك الطاعة الدائمة لما بيننا من الرابطة التى لا تنحل مدى الدهر .

مكبث : أعازم على ركوب الخيل فى هذا الأصيل ؟

بنكو : أجل يا مولاى .

مكبث : لو لم يكن هذا عزمَك، لسألناك أن تشهد مجلساً سنعقده بعد الظهر ، وتسعدنا فيه بصائب رأيك، غير أننا سنعود إلى هذا الشأن غداً ، أتطيل المدة خارجاً ؟

بنكو : سأبقى إلى العشاء .

مكبث : لا تتغيب عن وليمتنا .

بنكو : معاذ الله .

مكبث : نمى إلينا أن ابنى عمنا الفتاكين قد لجأ أحدهما إلى إنجلترة والآخر إلى أرلندة ، وأنهما ينكران ما جنيناه على أبيهما ، ويزعمان فى الاتهام مزاعم غريبة ، مما سأبسطه لك غداً . وأبسط غيره من الشئون الخطيرة التى توجب اهتمامى ، واهتمامنا جميعاً . امتط جوادك . أستودعك الله . إلى هذا المساء . أيصحبك فلينيس ؟

بنكو : أجل يا مولاى . هذه ساعة مسيرنا .

مكبث : أدعو لمهريكما بالخفة ، وسلامة الخطى . . فاذهبا موكولَين لسرعتهما ، ودمائتهما (يخرج بنكو) .

مكبث : (متمماً) لكل منكم أن يتصرف فى وقته كما يشاء إلى الساعة السابعة مساء ، حتى إذا ما لقيناكم بعد خلوة نخلوها ، إلى تلك الساعة ، تضاعف ائتناسنا . الله معكم.

(يخرجون إلا مكبث وخادماً)

مكبث : (للخادم) هزأة . أين الرجلان ؟

الخادم : ينتظران بباب القصر .

مكبث : جئنى بهما . (يخرج الخادم)

مكبث : (مستمراً) ليست العبرة فى أن تكون ملكاً ، بل العبرة فى أن تكون آمناً . أخشى بنكو أشد خشية ، فإن به من شارة الإمارة ما يجعله مهيباً رهيباً . عنده جرأة لا تقف لدى حد ، مع حكمة تهدى سبيله ، وتنجح مساعيه . وهو الرجل الفرد الذى أتقى بقاءه ، وأشعر أن عقلى يتضاءل لدى عبقريته . كما كان قديماً « مارك أنطوان » يتضاءل تجاه « قيصر » . فاجأ الساحرات بأسئلته حين بشرننى بالملك ، وأمرهن بالإجابة . فعندئذ بشرنه بمصير الملك إلى سلسلة طويلة من أعقابه . وهكذا جعل التاج الذى على رأسى عقيما ، والصولجان الذى بيدى هشيما ، ستنتقل الصولة غصباً من مقبضى ، ولن يخلفنى ولد من صلبى فلئن صح ذلك فلأجل أبناء « بنكو » أكون قد دنست

نفسى ، ولأجلهم قتلت « دنكان » الرحيم ، ولأجلهم
خاصة سممت بالحقد كأس راحتى . أجل ؛ ولأجل أن
أجعل أولئك ملوكاً الآن قد دفعت نفسى الخالدة إلى
عدو الله . . أأبناء بنكو يكونون ملوكاً ؟ ! لأسهلُ من
تحقق ذلك أن تتنزل أيها القدر فتواقفنى فى ميدان النزال ،
وتقاتلنى إلى الاستبسال . . .

( يعود الخادم لاحقاً به قاتلان )

مكبث : ( مستمراً ) من هنا . الزم الباب حتى أدعوك .

( يخرج الخادم )

مكبث : ( مستمراً ) أليس أمس اليوم الذى التقينا فيه .

الأول منهما : بلى يا مولاى .

مكبث : هـ . هـ . أفكرتما فيما قلته لكما ؟ اعلما أنه هو السبب
لشقائكما ، لا أنا ، كما كنتما تدعيان . . . وأظننى بينت
لكما فى حديثنا الآنف كيف خدعتما ، وما العقبات التى
أقيمت فى سبيلكما ، والوسائل التى توسل بها لإيذائكما ،
وأية يد هى اليد التى مدت تلك الحبائل لإيقاعكما فيها . .
والخلاصة أننى أبلغتكما كل ما كان ينبغى أن تعلماه
ليقول الواحد منكما – ولو كان قصير النظر أو بنصف
عقل – : ذلك صنيع بنكو .

الأول : أبلغتنا كل ذلك .

مكبث : لا جرمَ — ثم فعلت ما هو أعظم ؛ نظرت إلى المسألة من وجه آخر : هو الوجه الذى سيدور عليه حديثنا هذا ، هل تريان أن عندكما من الجلد ما يفوق جميع تلك البلايا ؟ هل أنتما إنجيليان إلى حد أن تدعوا بالخير لذلك التقى الورع ونسله من بعده ؟ عنيت ذلك الرجلَ الذى ثقلت يدُه الجافية عليكما وعلى أولادكما ، فأمالت رؤوسكم نحو القبر وقضت عليكم بالتعس الأبيد ؟

الأول : مولاى إنما نحن بشر .

مكبث : أجل . أنتم معدودون بشراً فى الجدول العام للإنسانية . إن للكلاب على اختلاف فصائلها، وأسمائها ، جدولاً عاماً هى مدرجةٌ فيه . ولكن لما كان منها ما هو للصيد ، ومنها ما هو للسباحة ، ومنها ما هو للحراسة، ومنها ما هو للزينة، كان لكل منها نعت خاص بجانب اسمه للدلالة على مزيته ، فتتفرق به أقدارها ، وتختلف أثمانها ، وهكذا البشر . فإذا كنتما من جدول الإنسانية فى غير المكان الأخير فأبلغانى ذلك ، فأكلَ بكما تحقيق عزمٍ إذا أنفذتماه أنجاكما من عدوٍ ، وأولاكما منزلة فى مودتنا ، ورعايتنا . . ذلك أننا نحن أيضاً نبغضه ، كما تبغضانه . ونعد حياته لنا علة ، ووفاته لنا صحة .

الثانى : مولاى إن هذا الماثل بين يديك (يشير إلى نفسه) لرجل استفزته سخريات الناس ، وأحفظته إساءاتهم ، فإذا تسنى له الانتقام منهم ، لم يعقه عائق .

الأول : وأنا قد أخنت على الرزايا ، وأضنتنى متاعبُ الكفاح والفشل . . فأصبحت راضياً بهدْر دمى هدْر المقامرة أو أصيبَ مغنما كبيراً .

مكبث : تعلمان كلا كما أن « بنكو » جهر بعداوتكما .

الثانى : نعم يا مولاى .

مكبث : وقد جهر بعداوتى أيضاً ، فالتقاطع بيننا فى الحد الذى أرى معه أن كل دقيقة يعيشها . كطعنة خنجر فى قلب حياتى . . نعم إننى لو شهرت عليه السلاح لأزلته مصارحة ، ولا جناح على ، لكننى أرعى فريقاً من أصدقائه ، هم كذلكما أصدقائى ، وأرغب فى استبقاء مودتهم ، فلهذا أجدنى مضطرًّا إلى إزهاق روحه بصورة أخرى ، مع التظاهر بأننى عليه أسيف ؛ ولهذا أجدنى مضطرًّا إلى ابتغاء مساعدتكما ، حتى لا يبدو للجمهور من غرضى ما تقضى بإخفائه أسباب أيِّدات

الثانى : مولاى إنا لممتثلان .

الأول : ولو جازفنا بعمرينا .

مكبث : أرى الحماسة بادية على وجهيكما . وبعد قليل سأعين لكما المكانَ والميقات . إذ لا بد أن يقضى هذا الأمر الليلة ، وعلى مسافة قريبة من القصر . وأذكر خصوصاً أنه لا ينبغي للشبهة أن تحوم حول اسمى فى هذه الواقعة . ثم لأجل أن تعملا عملكما بتمامه ، لا تنسيا أن تغتالا نجله « فلينيس » المرافقَ له ، إذ أن هلاكه يُهمنى كما يُهمنى هلاكُ أبيه . اذهبا وتشاورَا قليلا ، حتى ألحق بكما .

القاتلان : إنا رهن إشارتك يا مولانا .

مكبث : تقدمانى هنيهة وسأُسِرُّ إليكما أمرى — عقد أمضيناه — بنكو إذا كانت روحك ذاهبةً إلى السماء ، ففى هذه الليلة مطارُها (يخرجان ويدخل الخادم)

الخادم : مولاتى الملكة تبتغى لقاء جلالتكم .

مكبث : إنى فى انتظارها (يخرج الخادم) لست وحدى المضطرب ، إن قرينتى مع تظاهرها لى بالشجاعة لا تفتأ تقول : إن من أضيع العناء حصولَ المرء على مطلوبه إذا نغص دون التمتع به ، ففى مثل هذه الحال يكون حظ القتيل خيراً من حظ القاتلين .

(تدخل لادى مكبث)

لادى مكبث : إيهاً يا زوجى ، ما بالك منفرداً ، مقطباً ، لا تصحبك

إلا الوساوس السوداء ، التى كانت أجدر بأن تزول لزوال
مسببها ؟ كل شىء عصى الدواء ، غير حقيق بأن يفكر فيه
وما كان فقد كان .

مكبث : جرحنا الثعبان ولم نقتله ، فهو سيشفى ، ويستعيدُ قواه ،
وسنبقى متعرضين للسعاته ! ألا إنه لأيسر أن يختل نظام
العالم وأن يتلاشى الخافقان من استمرارنا على أكل خبزنا فى
المخاوف والتماس رقادنا بين تباريح الأحلام المخيفة تقلقنا
كل ليلة ! ألا إنه لخير لنا أن نلحق بالذين أرسلناهم إلى
سكينة الأبد تمهيداً لوصولنا إلى هذه العلياء ، من أن نظل
نَهْباً مقسما بين آلام النفس ! ! استقر دنكان فى ضريحه ،
وزالت عنه حمى الحياة ، فهو فى سبات . وقد أمن الغدر
والخيانة ، أمن الخنجر ، والسم ، والمؤامرات الداخلية ،
وغارات الأجانب ، فلا شىء من كل أولئك يقدر على
إزعاجه بعد الآن . . .

لادى مكبث : دع يا صديقى هذه الهموم . واقشع عن جبينك هذه الغيوم ،
لتتلقى ضيوفك بعد حين بما يسرهم ويُقرُّهم .

مكبث : سأفعل يا غرامى . وأنت كونى كذلك . أضرع إليك، ثم
بالغى فى إكرام « بنكو » لفظاً ولحظاً . إننا لن نبلغ
الطمأنينة ما دمنا فى حاجة إلى غسل فعلينا بمياه العبودية ،

وإلى كتمان سرائرنا حتى لنغدو وما وجوهنا إلا صور مستعارة لقلوبنا .

لادى مكبث : اصرف هذه الأوهام .

مكبث : أى قرينتى المحبوبة ، إن نفسى لملأى بالعقارب ، وتعلمين أن بنكو وابنه فلينيس لا يزالان حيين .

لادى مكبث : لكنهما ليسا بخالدين .

مكبث : لا ، وهو ما أتسلى به فى بُرَحائى ، ليسا بمنجاة من الموت ، فابتهجى غاية الابتهاج . ليحدثن أمر عظيم ، قبل أن يطير الخفاشُ ، وقبل أن تموء الهرة السوداء فيبسط الجُعَلُ أجنحته الصدَفية ويدوى دويه المؤذن بحلول الظلام .

لادى مكبث : ما الذى سيكون .

مكبث : أيتها العزيزة لا ينبغى أن تعلم طهارتك بما هو منوى إلى أن تصفقى سروراً بما قد جرى . هلم أيها الليل المدلهم ، أرخ سدولك على النهار الشفيق ، وأغمض نظراته المتلطفة . ثم تناول بيدك الخفية الدامية ، ذلك الصك الذى طبع الاصفرار على جبهتى ، ومزقه تمزيقاً ، لقد كمد النور ، وهب الغراب ناحياً نحو القبة السماوية الممتدة فوق الغابات ، سكن الأبرياء يميد برؤوسهم النعاس ، ونهض الأثمة من حلفاء الدجى ، يلتمسون فرائسهم . إن كلامى

ليدهشك ، فلماذا أبطئ عليك فى البلاغ . سيقتل الليلة بنكو وابنه . ذلك كان أمراً مقضياً . ولا يؤيد الشر مثلُ الشر . هلمى من هذا المكان فقد أوشك الضيوف أن يسبقونا .

( يخرجان )

## المشهد الثانى

( ردهة من السراى . مائدة معدة . يدخل مكبث .

لادى مكبث . رس . لينوكس . أشراف آخرون . خدم )

مكبث : تعرفون المقاعد التى تعينها لكم رُتبكم فاجلسوا على السَّعة .

الأشراف : شكراً لجلالتكم .

مكبث : سنختلط بالجمع كواحد منهم ، أما ربة الدار فتلزم كرسيها الأعلى حتى يحين الوقت الملائم ، فنلتمس منها الترحيب بنا .

لادى مكبث : كن نائباً عنى فى إبلاغ أصدقائنا أننى قائلة لهم من قلبى : أهلا وسهلا ( يظهر القاتل الأول من باب الردهة )

مكبث : يبدو على وجوههم الوضيئة أنهم يشكرون لك هذه المكرُمة من قلوبهم . إن العدد متساو فى الجانبين . سأجعل مجلسى فى الوسط . امنعوا الكُلْفة وانطلقوا فى الابتهاج . بعد هنيهة سنشربُ نخبنا دَفعة واحدة ( متقدماً نحو الباب ) على وجهك دم .

القاتل : فلا جرم أنه دم بنكو .

مكبث : أوثر أن يكون على وجهك من أن يكون فى عروقه . أمَضى لسبيله ؟

القاتل : نُحِر نحراً يا مولاى . وأنا الذى قضى له أمره .

مكبث : أنت نابغة الناحرين . ولكن لا يقلّ عنك نبوغاً ذلك الذى دق رقبةَ فلينيس . أأنت هو ؟

القاتل : مولاى فلينيس قد فر .

مكبث : عاودتنى النّوبة ، ولولاها لكان كل شىء على مرامى ، وكنت مليئاً كالرخام . . متيناً كالجلمود . . طليقاً كالهواء الذى يحيط بالعالم . أما الآن فإننى منضغط مغللٌ سجين ، مصْبور . تتداولنى الوساوسُ والمخاوفُ التى لا ترحم . ولكن بنكو فى موضع أمين ؟ !

القاتل : أجل يا سيدى الجواد ، فى قعر حفيرة ، وبهامته المعلقة عشرون من الطعنات ، التى أيسرها مميت .

مكبث : شكراً عن هذا . . هلك الصّلُّ الكبير . أما الصغير فقد انهزم ، وبه من الرمق ما يخرج السم فيما بعد . لكنه الآن لا أسنان له . اذهب ، سنستأنف الكلام غداً .

( يخرج القاتل ) .

لادى مكبث : مولاى الملك لم تُبد لضيوفك علامة البشر فيبشروا ! وإن مأدُبةً لا يجامل فيها المدعون مجاملةً مكررة يستشفون منها

سماحةَ أهل البيت وطيبَ نفسهم عما قدموا ، لمأدبة يتقاضى ثمنها ، وخيرٌ منها إذن أن يأكل كل امرئ فى بيته . بلهَ أن لطف المحاضرة أشهى ما يصلح به الطعام . وإن كل اجتماع بلا مؤانسة ، موحش كالقفر .

مكبث : أيتها المشيرة الرقيقة ، هنيئاً مريئاً للآكلين ، والشاربين .

لينوكس : يحسن لدى جلالتكم أن تجلسوا .

مكبث : لولا غيابُ ضيفنا الرقيق « بنكو » لأظلت دارَنا الآن جميع مفاخر الوطن ، فعساى أن أعتب عليه التقصير ، وألا أساء فيه بمكروه (يحضر طيف بنكو ويجلس) .

رس : فى غيابه يا مولاى تفنيدٌ لميعاده . أيتفضل جلالتكم بمجالستنا ؟

مكبث : المائدة مكتملة .

لينوكس : هذا مقعد معد لجلالتكم .

مكبث : أين ؟

لينوكس : هنا يا سيدى الكريم . ما الشىء الذى يشغل جلالتكم ؟

مكبث : من منكم فعل هذا ؟

الأشراف : أى شىء أيها السيد الجواد ؟

مكبث : (للطيف) ليس لك أن تزعم أننى أنا الذى فعل هذه الفعلة . لا تهزُزْ إلى ضفائركَ الدامية .

روس : وقوفاً يا سادتى . إن جلالته لموعوك .

لادى مكبث : البثوا قعوداً أيها الأصدقاء النبلاء . . يغلب لمولاى أن يكون هكذا ، وهى افته منذ نعومة أظفاره . أرجو أن تلزموا أمكنتكم ، عرَض قريبُ الزوال وما يكون إلا كلمح الطرف ، حتى يتنبه ، فإذا حدّجتموه بأبصاركم ، فقد تستفزونه وقد تزيدونه ألماً . كلوا ولا تنظروا إليه . . . أأنت رجل ؟

مكبث : نعم رجل شجاع يجرؤ على التحديق فيما قد يخيف الشيطان.

لادى مكبث : طفولة ـــ هذا أيضاً وهم من مولدات خشيتك ، وما أشبهه بالخنجر الهوائى الذى زعمت أنه كان يهديك إلى مكان دنكان . أفّ لهذه الارتعادات والاهتزازات التى تتشبه سخرية بالمخاوف الصحيحة ، والتى هى أليق بحديث العجائز المستدفئات فى ليالى الشتاء . ذلك هو الخجل بعينه ، علام هذه الحركات الهزئية ، وما تقع عليه عيناك إنما هو كرسى ؟!

مكبث : أبتهل إليك أن تلتفتى إلى هذه الجهة . . . انظرى . . . حدقى . . . كيف تقولين ؟ ماذا يهمنى فى نهاية الأمر ؟ ( للطيف ) إذا كنت قادراً على تحريك رأسك فعلام لا تتكلمَ . أوه ، لئن كانت المدافن والأضرحة تطلق الذين نودعهم فى بطونها هكذا فحبذا لو أودعناهم فى بطون الرَّخم والشواهين ( يتوارى الشبح ) .

لادى مكبث : أفجردك الجنون من كل رشدك ؟
مكبث : بحق ما أنا هنا رأيته .
لادى مكبث : واخجلتا .
مكبث : ليست هذه أولَ مرة سفك فيها الدم . . . بل سلف هدْره في الأزمنة المتقدمة قبل أن توضع القوانين الشديدة ، فتدفع بعضَ الناس عن بعض . واتفق بعد ذلك أن أريقت المهجُ في حوادثَ جمة هي أفظعُ من أن تفصل ، ثم وافى حين من الدهر كانت الجمجمة إذا خلت من الدماغ فقد ماتت ، وانتهى كل شيء ، أما اليوم فيقع الصريع وفي هامته عشرون جرحاً ثخيناً ، ثم يبعث ميتاً ويتهجم على كرسينا ، فيطردنا منه . غرابة ، وأية غرابة ! ليس القتل بأعجبَ منها .
لادى مكبث : يا زوجي الجليل ، إن أصدقاءك الأمجاد لفي انتظارك .
مكبث : كنت ناسياً . لا تعجبوا يا أصفيائي ، إني مصاب بآفة مزمنة ليست بشيء لدى الذين يعرفونني ، صحةً وصفاء لكم . سأجلس . أعطوني خمراً . . . املأوا كأسي إلى حافاتها . أشرب سروراً بالضيوف الكرام . ( يبدو الشبح )
مكبث : ( متمماً ) وخصوصاً حبيبنا بنكو الذي نأسى لتغيبه . ليته حضر . هذا نخبه ونخبكم ، هناء وسروراً للجميع .
المدعوون : بالتبجيل والتعظيم نشارك جلالتكم في الدعاء .



الأخوات المتنبئات وأستخيرهن . فلا بد لى من الاطلاع على أسوأ شىء يجوز أن أتوقعه . لقد تماديت فى غمر الدماء المهراقة حتى لو أردت النكوص على أعقابى ، لكانت مشقة العود إلى الشاطئ الذى شخصت منه كمشقة السير إلى الشاطئ الثانى . تجول فى رأسى أمانٍ ، سيناط تحقيقُها بيدى . فلأمضينها وشيكاً قبل عرْضها على الرأى . لا مندوحة من قتل « مكدف » وإعداد العدة لإرهاب ملك إنجلترة منعاً له من تسيير جيش علينا كما يزعمون ، تحت قيادة « نورثمبران » و « سيورد » ، لإمداد العصاة وغصْب الصولجان منا . قال مكدف حين جاءته دعوتى : « أما أنا فلا » فلأخرسنَّه أبدَ الدهر بعد هذا الجواب . بل لأدْفِن كلَّ حقود مكابر .

لادى مكبث : ما أحوجك إلى الرقاد ، إلى ذلك البلسم الذى تُستعاض به مفقوداتُ القوى .

مكبث : لنلتمس الراحة . ليس الاضطراب الغريبُ الذى استحوذ علىّ ، وهتكَ مستودَع سرى إلا نتيجةً من حداثة عهدنا بالشر وعدَم تصلبنا فى مراسه . إنا لم نزل فتيين فى الإجرام .

*الفصل الرابع*

# المشهد الأول

## مغارة مظلمة فيها مرجل يغلى

الثانية : لنبرد ما غلى مغموساً فى دم قرد يتمكن السحر .

( تدخل الجنية هيكات ومعها ثلاث ساحرات أخريات ) .

هيكات : هذا عمل صالح يوجب لكن المديح ، ويقضى لكل منكن بحظ من الربح . بقى أن نرقص دورة الجان ، والسعالى ليستوفى السحر تأثيره فى جميع الأشياء التى بالمرجل .

( الساحرات ينشدن ) .

أيها الأرواح من بيض وحمرِ
أيها الأرواح من سود وسمر
مازجى مايصطلى فى شر قِدْرِ
واملأى أجزاءه آياتِ سحرِ

الثانية : يشعرنى حكاك إصبعى بإنسان لعين يدنو . أيتها الأبواب انفتحى لأول طارق . ( يدخل مكبث )

مكبث : أيتها المدلجات المدلهمات ، ماذا أنتن فاعلات ؟

الساحرات : ما لا يسمّى .

مكبث : ناشدتكن علمكن أيًّا كان مصدره إلا ما رددتن على أسئلتى . أجبننى ولا تكترثن . لو أن الرياحَ انطلقت فضت هدارة ، تزعزع الكنائس ، أو البحر طغى مزبداً فوق جميع السفن التى تمخُر عبابه ، أو الإعصار اندفع يحطم السنابل ، ويقصف الأشجار ، أو الصروح تهدمت على رؤوس حراسها ، أو القصورَ المشيدة ، والأهرام الوطيدة تقوضت ، وأصبح عاليها سافلها . . أو الجراثيمَ التى تصدر عنها كلُ مولدات الطبيعة ، اختلطت فى مكمنها ، فعمّ البوار ، وانتشر التخريب إلى أن ينفدَ مجهود الدمار ، فيسقط هو نفسه من الإعياء . . . فأجبننى .

الأولى : تكلم .

الثانية : سل .

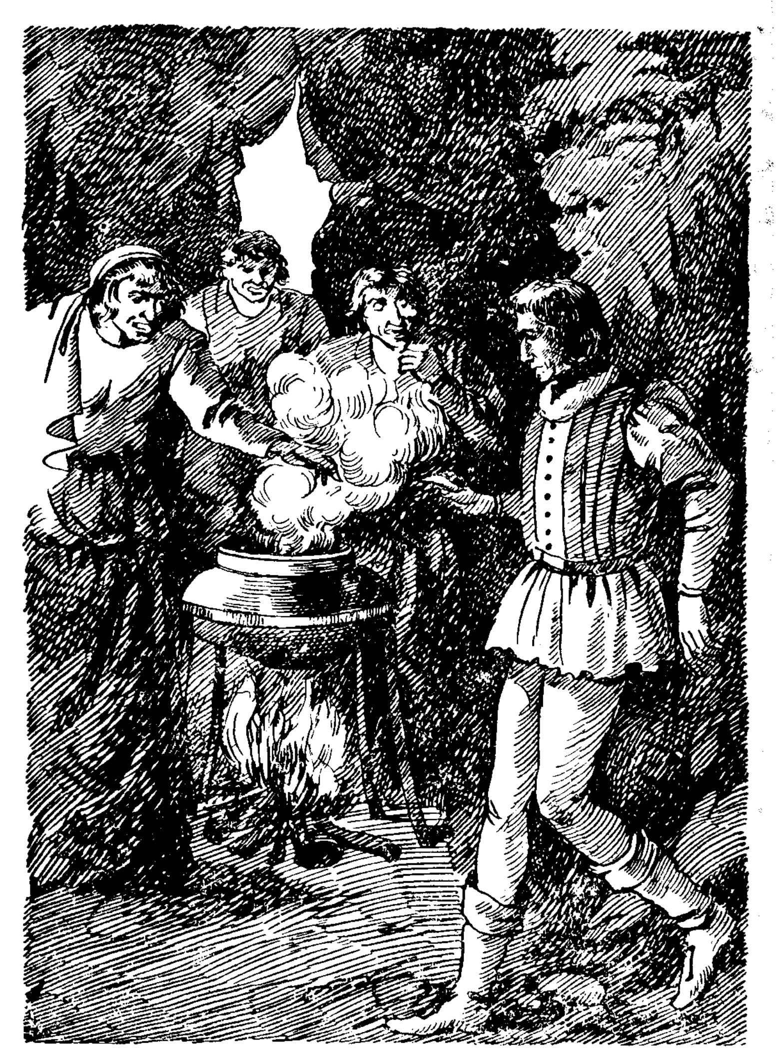
الثالثة : سنجيب .

الأولى : أو تريد أن تسمع الجواب منا ، أم من أفواه سادتنا .

مكبث : استدعينهم فأراهم .

الأولى : لنفرغْ فى النار دم خنزيرة افترست صغارها التسعة ، ولنُضف إليه شحماً مما دهن به صليب قاتل ( ينشدن جميعاً )

أيها الطيف الذى بالـ حجب السود استتر



إن تكن ذا قدرة أو لا تصعّـــد من سقرْ

( يسمع رعد ويبدو رأس بخوذة )

مكبث : أيتها القدرة الخفية تكلمى .

الساحرة الأولى : إنها تعلم نجوى ضميرك فأصغ إليها صامتاً .

الرؤيا : مكبث . مكبث . اتق مكدف . اخش سيد فايف . دعنى أنصرف . كفى . . . ( تختفى الرؤيا فى جوف الأرض )

مكبث : أيًّا كنت فإنى لأشكر لك ما محضتنى من النصيحة ، فقد لمست بها موضع خوفى ولكن سأستزيدك كلمة .

الأولى : لن يستمع لك . . هذا طائف غيرُه وهو أقدر منه .

( يسمع الرعد ويبدو طيف طفل دام ) .

الطائف : مكبث . مكبث . مكبث .

مكبث : ليتَ لى ثلاثة مسامع فأصغى بهن جميعاً .

الطائف : كن جريئاً رابط الجأش . فاقدَ الرحمة ، فلن يستطيع حى وضعتْه أنثى أن يُضِرّ بمكبث . ( يعود الطائف إلى جوف الأرض )

مكبث : لك أن تعيش يا مكدف ، فلن أتقيك ، غير أنى لا أجد مندوحة من التشدد فى التماس الأمن ، والمغالاة فى أخذ الضمان لنفسى على الأقدار ، فأنت لا محالة قتيل ، وبعد الإجهاز عليك يسوغ لى عندئذ أن أقول للخوف ذى الجبهة الصفراء « إنه كذب » ثم أنام ملء جفونى ولا أبالى

الرعود . . ( يسمع الرعد ويبدو شبح طفل متوج بيده غصن نضير )

مكبث : (متمماً) من هذا الشبيه بأبناء الملوك وعلى رأسه تاج ؟

جيمهن : أنصت ولا تخاطب .

الخيال : كن كالأسد بطشاً وكبرياء ، لا تحسب حساباً لمتظلم ، أو ثائر ، أو متآمر ، لن يغلب مكبث حتى تزحف غابة « برنم » على الجبل الرفيع ، وتهاجم قصر « دنسينان » المنيع .

( يدخل الخيال فى الأرض ) .

مكبث : لن يكون ذلك أبداً . من ذا الذى يستطيع أن يأمر الغابة فتمشى ؟ ويشير إلى الشجرة فتقتلع جذعها من الأرض ؟ يا للنبوءة السارة ! يا للسعادة ! أيها العصيان ترقب غابة « برنم » ، حتى تسير ، وانتظر « مكبث » حتى يستوفى وهو فى أوج العلى ما بينه وبين الطبيعة من العقد المبرم ، وحتى يؤدى الجزية التى تقتضيها الشيخوخة ، وتوجبها السنة العامة ، إلا أن قلبى مشوق إلى شىء آخر ، فقل أيها الخيال : إن كان علمك يبلغ إلى الحد الذى أذكره ، أيتولى نسل « بنكو » أريكة هذا الملك يوماً من الأيام ؟

جيمهن : لا تستزد عما سمعت .

مكبث : بل أستزيد فإن أبيتن فلعنة الله عليكن خالدة . نبئنى : ما بال هذا المرجل قد توارى تحت الثرى ؟ وما يراد بهذه

الموسيقا ؟ ( يسمع مزمار أسكوتلاندى ) .

الأولى : اظهروا .

الثانية : اظهروا .

الثالثة : اظهروا .

الجميع : تجلوا لعينيه وأحزنوا قلبه ، تعالوا كالأشباح ، وتواروا كالأشباح

( يظهر ثمانية ملوك متسلسلين يمسك آخرهم مرآة ويتبعهم بنكو ) .

مكبث : ما أشبهك بطيف بنكو . اذهب . رؤية تاجك تُحرق عينى ، وأنت يا مكللا من الشعر المسدول على جبينك بمثل إكليله الذهبى ، ما أشبهك به . وهذا ثالث يشاكل اللذين تقدما . أيتها الساحرات النجسات ، فيم تريننى هذه الصور ؟ رابع — اندفعا من وقبيكما يا عينى . أستطول هذه السلسلة إلى آخر الدهر ؟ آخر ، سابع — حسبى ما نظرت ، لا أريد مزيداً — ثامن — بيده مرآة تريني صوراً متعددة إلى شأو بعيد فيها أفراد يتقلدون الكرتين ، ويهشُّون بالصولجان المثلث . قبحاً لهذا المنظر ، الآن تبينت أن كل هذا حقيقة ، فإن بنكو المخضب بدمه يَبشُّ إلى مشيراً بإصبعه إلى ذريته ( إلى الساحرات ) أهكذا سيكون ؟

الأولى : نعم هكذا سيكون ، ولكن ما بال « مكبث » مستغرقاً فى

الدهشة ؟ هلمى يا أختى نبهجْ قلبه ونشهده ملاهينا الجميلة ، سأرقى الهواء ، فيسمعنا نغماً شجياً ، نرقص عليه دورة ، يجب أن يتفضل الملك الجليل ، ويقول : إننا قبلنا تشريفه بما يسره من الإعظام (يسمع نغم وتتوارى الساحرات) .

مكبث : أين هن ؟ تغيبن ، لعنت هذه الساعة فى ساعات الزمن (منادياً) هيا من هنا (يدخل لينوكس) .

لينوكس : ماذا تبتغى جلالتكم .

مكبث : أرأيت الأخوات المتنبئات ؟

لينوكس : لا يا مولاى .

مكبث : ألم يمررن بجانبك ؟

لينوكس : لا يا مولاى .

مكبث : ليسمم الهواء الذى يحملهن طائرات . وليهلك كل من يؤمن بهن . سمعت عدْو جواد . من الذى قدم ؟

لينوكس : ثلاثة فرسان جاءوا منبئين بفرار « مكدف » إلى إنجلترة .

مكبث : أفرإ لى إنجلترة ؟

لينوكس : أجل يا مولاى .

مكبث : أيها الدهر إنك لتحول دون ما كنت أنويه من عظائم الفعال . والإرادة إن لم تقترن بالمضاء ، لم تكن إلا فكرة فاركاً . إنى منذ هذه الساعة لمعقبٌ بعزمى ، على ما يوحيه

حزمى . فأيما خاطر صدر عن قلبي صدر من يدى .
سأفاجئ قصر « مكدف » مستولياً على ولايته . وسأعمل
السيف فى رقاب امرأته ، وأبنائه ؛ وكلِّ منكود ينتمى إلى
عِتْرته . وعيد ليس بالقول الطائش . لكنه عزيمة من فورها
نافذة . حسبي رُؤًى . أين أولئك الرجال ؟ دلني على
مكانهم (يخرجان) .

## المشهد الثانى

### إنجلترة . قسم فى قصر الملك

( يدخل ملكولم ومكدف )

ملكولم : لنلتمس خلوة مجهولة نطلق فيها العنان لدموعنا .

مكدف : بل لنسلُل سيوفنا الماضية ونُحام على حقيقتنا محاماة الشجعان . كلما طلع فجر شكت أيامى ، وبكت يتامى ، وعلت صرخات المتألمين ، حتى لإخال السماء قد أخذت تستمع لدعاء « إسكتلندة » وترثى لإعوالها ، ونحيبها .

ملكولم : يجوز أن ما تقوله صحيح ولكن هذا المستبد الذى يجرح اسمه لسان الناطق به ، كان فيما سلف رجلاً نزيهاً ، وكنت تحبه ، ولم أعلم أنه نالك أو أصاب آلك ببعض مكروه ، فلئن رضيت بى شفيع صلح بينكما ، فإنى سأشفع لك عنده ، وما من بأس عليك أو على أحد أن يذهب فتى مثلى مقتبل الشباب قرباناً فى سبيل استعطاف ذلك الإله الحنِق .

مكدف : أنا لست بخائن .

ملكولم : أما « مكبث » فخائن . غير أن أنزه التابعين قد يخطئ إذا امتثل أمراً لمتبوعه . أستغفرك عن ظِنـةِ غدر أظنها بك ، فإن كنت بريئاً منها فهى لا تنتقص براءتك . أليست الملائك إلى الآن لامعة ، غير أن أسطعها نوراً هو الذى تكبر فتهور . مهما تستعر الرذيلة من شكل الفضيلة فلن يمس الفضيلةُ هذا التشبه ، بل تظل آخر الدهر هى الفضيلة .

مكدف : يا خيبة آمالى !

ملكولم : لعلك أضعت آمالك ، حيث أضعت أنا شكوكى . لماذا نزحت بغتة عن امرأتك وبنيك مع أنهم أثمن أشياء الدنيا لديك . ومع أن الأسباب التى تربطك بهم ، هى أمتن أسباب الحب . أرجو ألا تحمل ارتيابى محمل الاتهام فإن هو إلا ما يوجبه علىّ الحذر ، ولعلك بلا عيب وبلا ذمٍّ مهما يكن من رأيى فيك .

مكدف : انزف دمك إلى النضوب يا وطنى المسكين . وأنت أيها الاستبداد توطّد غير منازع بعد اليوم ، فإن البررة الأخيار لا يجرؤون على مكافحتك ، وداعاً أيها السيد . . . أبى الله لى أن أكون من ظننت ، ولو أضيف الشرق بكنوزه إلى المساحة الشاسعة التى تحت حكم الظالم .

ملكولم : . . . لا يغضبنّك مقالى ، ولا تجد فيه غضاضة عليك .

فلئن خاطبتك هكذا فالأمر دونه ارتيابى فى نزاهتك .
إن بلادنا لرازحة تحت النير باكية دامية لا يزيدها كرور
الأيام إلا جراحاً على جراحها ، واعلم أن فى أهل الخير
أعواناً لها لا يرقبون إلا الدعوة لتأييد حقوقها ، وأن ملك
الإنجليز قد تبرع بجعل آلاف من البسلاء تحت إمرتى
لإنقاذها ، غير أنه لو تسنى لى أن أمشى على هامة الظالم ،
أو أن أحمل رأسه على طرف حسامى ، لما كان حظ وطنى
على أثر ذلك إلا أن يعتاض من عيوب فاضحة بعيوب
أفضح منها ، ومن آلام فادحة بآلام أفدح منها ، فى عهد
الرجل الذى سيخلف ذلك المستبد .

مكدف أى رجل تعنى .

ملكولم إياى أعنى . . . فإن بى رذائل متأصلة ، ومذام متمكنة ،
لا يجىء سواد مكبث فى جانبها إلا بياضاً كالثلج ، أو
أنقى ، وإن « أسكتلندة » التاعسة لسوف تجده كالحمل
الوديع إذا قيس إلى بطشى و بغيى .

مكدف : ليس فى أهل جهنم شيطان أفظع من « مكبث » . سفاح ،
شره ، بخيل .

ملكولم : بلى ؛ إنه لفتاك كذوب ، سفاح ، بخيل ، خبيث ،
حقود ، مسىء ، مبتلى بكل المعايب التى لا يستطاع

حصرها ، أو تسميتها . غير أنى لو ملكت ، وبى من الظمإ إلى الشهوات ما لا ينقع ولا يحد بحد ، لأصبحت نساؤكم وبناتكم بغيات ، بل لما كفت عذاراكم لإشباع تلك النهمة فى . بل لاندفع الهوى بى اندفاعاً أجتاحاً للعقبات ، لا يقف فى وجهه عدل ، ولا يلطف منه اعتدال . ثم إن بى شرهاً إلى المال ، والجاه ، وحرصاً على الحطام أشد مما أسلفت وصفه ، وبى من المعايب الجلابة للدمار ، الجرارة للحروب ، ما لم يسبق اجتماعه فى سواى . « فمكبث » على علاته أولى من هذا الرجل بولاية الأريكة .

مكدف : أى أسكتلندة الشقية . واوطناه .

ملكولم : أمثل هذا الإنسان جدير بالملك ؟ تكلم . أنا ذلك الإنسان .

مكدف : جدير بالملك ؟ كلا . ولا بالحياة . يا للأمة المصابة التى يتهضمها غشوم فتاك . متى تعود إليك أيام سلامتك ، وإقبالك ؟ ! ويحك إن الوارث الشرعى لعرشك بإقراره ، بين يديك ، ليس إلا خلقاً شاذاً ، وسبة لقومه (إلى ملكولم) كان أبوك الشريف ملكاً صالحاً ، وكانت الملكة التى حملتك بين جنبيها لا تلفى جاثية ، بل جاثية تستمد لك الحياة من ربك ، وتموت من أجلك كل يوم ميتة . أستودعك الله . إن المثالب التى تذكرها عن نفسك ،

لتقضى على بالانتفاء السرمدى من أسكتلندة . . .
وا فؤاداه ، الآن قد قضى آخر أمل فيك .

ملكولم : « مكدف » ! إن هذا الألم الصادق الذى لا تلده إلا النزاهة قد أزال من نفسى الشكوك السوداء فى طهارتك ، واستقامتك . حاول « مكبث » الجهنمى أن يستدرجنى بمثل هذه الوسيلة للدخول فى حيز سلطانه ، فشاورت الحذر قبل التصديق الوشيك . أما بينك وبينى ، فلا يكن إلا الله منذ الآن . إنى لمسترشد بإرشادك ، وناف كل ما ذكرته عن نفسى من المثالب ، والمعايب التى لا عهد لى بها . أنا لم أباشر المرأة ، ولم أحنث بيمين ولم أكد ألتمس ما يحق من مالى ، ولم أمِنْ بقولى ، بل أحب الحقيقة كما أحب حياتى ، وما سمعته آنفاً منى عن نفسى هو أول كذبى . فليكن لك ولبلادى الشقية كل التصرف فى حقيقة ما أنا ، وها قد سار الشيخ الجليل « سيورد » على رأس عشرة آلاف من الشجعان إلى أسكتلندة ، فلننضم إليه ، وليجىء النجاح بعون الله وفقاً لحقنا . علام أنت صامت ؟

مكدف : صعب على التوفيق فوراً بين قولين مختلفين كل هذا الاختلاف . لكننى أسمع خطى .

ملكولم : سنعود إلى هذا الحديث ( يدخل رس ) .

مكدف : يا بن عم حياك الله .

ملكولم : لم أكد أعرفه بادئ بدء . متى يزول السبب المفرق بين الأحياء ؟

مكدف : ألا تزال أسكتلندة فى موضعها من الدنيا ؟

رس : لهفى على بلادنا الأسيفة تكاد لا تجرؤ أن تعيد نظرها على نفسها . غير جدير بنا بعد الآن أن ندعو تلك التربة بأمنا ، إن هى إلا مقبرتنا . . . لم يبق فيها ، عدا الأطفال ، والبلهاء ، حى يبتسم ، ولا إنسان يرثى لأنة شاك ، أو جأرة بائس ، أو صرخة صارخ . بل أصبح كل مخلوق فيها يرى أشد الأوجاع فيحسبها من ألينها ، أو يسمع جرساً ناعياً فلا يسأل عمن مات ، بل أصبح الرجل الصالح يقضى نحبه قبل وفاة الزهرة التى يحلى بها قبعته .

مكدف : بالغت فى التمثيل ؛ ولكن ما أشبهه بالحقيقة .

ملكولم : ما هو أحدث الخطوب عهداً ؟

رس : خطب يوشك الذى يخبر به بعد ساعة من وقوعه أن يجلب على نفسه سخرية الناس ، كأنه يحدثهم بأمر تاريخى قديم ، وذلك لأن كل دقيقة تلد خطباً جديداً .

مكدف : كيف حال امرأتى ؟

رس : حالها . . . جيدة .

مكدف : وأولادى .

رس : . . . كذلك .

مكدف : ألم يزعجهم الظالم ؟

رس : لا — كانوا بخير حين فارقتهم .

مكدف : لا تبخل بالكلام فتوجزَ إلى هذا الحد . كيف الأمور ؟

رس : عند ما شخصت من البلاد حاملا إليكم من الأنباء ما كان وقراً على قلبى . شاع أن جماهير من أهل الخير خرجوا للقتال. ثم صدق عندى هذا النبأ، أننى رأيت للغشوم جيشاً يتأهب. لقد حان وقت النجاة . ومتى جئتم أسكتلندة نبت الجند وراء كل لحظة من لحاظكم ، وهب للقتال كل حى حتى النسوة ، على رجاء أن يوضع حد لذلك الشقاء .

ملكولم : ليفرحوا ، إنا صائرون إليهم وقد أقرضتنا إنجلترة الكريمة عشرة آلاف مقاتل تحت إمرة « سيورد » الشجاع ، الذى لا يماثله شجاع فى الخافقين .

رس : كان بودى فى مقابلة هذه البشرى أن أتحفكم ببشرى مثلها ، ولكن الكلمات التى يجب أن أقولها كان خليقاً بها أن تلقى صراخاً فى عُرض الخلاء ، بحيث لا يسمعها أحد .

مكدف : من الذى تهمه هذه الأخبار؟ أفيها ما يمس قضية الأمة ، أم ما يسوء إنساناً معيناً ؟

رس : كل ذى نفس كريمة شريك فى هذا المصاب، ولكن السهم الأكبر يُفضى إليك .

مكدف : إذن أفض فى البيان وأسرع .

رس : أخشى أن يسوءك أبد الدهر ، فلن تطرق مسامعك بأنكر مما تسمع الساعة .

مكدف أكاد أعرف ما ستقول .

رس : هُجم على صرحك ، وذبحت امرأتك ، وأطفالك . ولو استزدت بياناً لخفت أن يعاجلك الموت فتنضاف إلى ذلك الكوْم المكدّس من القتلى .

ملكولم : وارحمتا — أيها الصديق لا تشددْ قبعتك هكذا نزولا. صعد كربك فى كلمات . إن الشجا الصامت يظل يدوى فى الفؤاد حتى يفطّره .

مكدف : وأولادى أيضاً .

رس : امرأتك ، وأولادك ، وخدمك . وكل من وجدوا .

مكدف : جرى ولم أكن — أو كذلك امرأتى ذبحت .

ملكولم : عزاءك . ليسعدنا الانتقام على هذا الألم القاتل .

مكدف : آه ليس له أولاد . كل أطفالى الأبرياء . ألم تقل كلهم ؟ يااللرّحمة الجهنمية! كلهم. وا ولداه . كل أطفالى المساكين ، وأمهم فى حصدة واحدة .

ملكولم : تجلد لهذا المصاب تجلُّد الرجل .

مكدف : نعم بلا ريب . ولكنه لا يسعنى الامتناع من الشعور به ، كما يشعر الرجل . كيف أنسى أنه كان لى فى الدنيا أحباء ، أيها الأثيم . . . إنما نكبوا بسببى . يا ويلتى جنى عليهم لا لذنوبهم ، بل لذنوبى ، أما الآن فعليهم رحمة الله .

ملكولم : ليكن هذا هو الحجر الذى يشحذُ عليه سيفك . حوِّل عزمك إلى غضب ، وليُهج بأسك ما ألان قلبَك .

مكدف : ما كان أجدرنى أن أبكى بكاء الثكلى ، وأن أكثر من الوعيد على غير جدوى . لكن أسألك اللهم ياذا المراحم ألا تطيل المهلة ، وأن تجعلنى بحيث ينال سيفى ذلك الشيطان طاغية « أسكتلندة » فإذا نجا منى يومئذ فليغفر له الله .

ملكولم : هكذا يتكلم الرجال ، فلنذهب للقاء الملك . إن الجيش لمتأهب . ولم يبق علينا إلا التوديع . قد نضج « مكبث » للسقوط وأعدَّت له قوى السماء ما يدفعه فينحدر ... تقبل التسلية حيث تعرض ، فإن الليل الذى لا يعقبه فجرٌ لليلٌ طويل .

( يخرجون )

## الفصل الخامس

# المشهد الأول

## دنستيان — قسم من القصر

( يدخل طبيب ووصيفة )

الطبيب : من أى وقت بدأت تتمشى فى نومها ؟ أتذكرين ؟

الوصيفة : منذ شبت هذه الحرب طفقت مولاتى تنهض فى كل ليلة من سريرها ، فتلقى عليها رداءها ، فتفتح حجرتها ، فتتناول ورقاً تكتب عليه شيئاً ثم تختمه ، وتعود إلى مرقدها ، وكل ذلك فى سُبات من النوم .

الطبيب : من أدلة الاختلال الشديد فى الوظائف الحيوية ، أن تكون غافلة وهى تسعى سعى المستيقظين . ألم تسمعها تتكلم ؟

الوصيفة : سمعتها قائلة أشياء لا أستطيع إعادتها يا سيدى .

الطبيب : لك ، بل عليك ، أن تذكرى ذلك للطبيب .

الوصيفة : لن أبوح به للطبيب ولا لغيره ، إذ ما من شاهد يستطيع تأييد قولى (تدخل لادى مكبث وبيدها مشعل تضعه على المنضدة) .

الوصيفة : (متممة) انظرها . ها هى ذى آتية — شأنها ، شأنها ، إذ

تتمشى حالمة ، إنها لمستغرقة فى الرقاد .

الطبيب : من أين جاءت بهذا المشعل ؟

الوصيفة : كان بجانبها ، وليست ترقد بلا نور . كذا هى آمرة .

الطبيب : عيناها مفتوحتان .

الوصيفة : أجل ، ولكن حاسة النظر مفقودة .

الطبيب : ماذا تصنع الآن ؟ تأملى كيف تفرُك يديها .

الوصيفة : من عادتها أن تفعل فعل من يغسل يديه ، واتفق لى أن شهدتها تستمر على ذلك ربع ساعة بلا انقطاع .

لادى مكبث : فلا تفارقنى هذه اللطخة الدامية .

الطبيب : سمعاً ، تتكلم . سأكتب ما تقول مخافة أن أنسى .

لادى مكبث : زولى أيتها اللطخة الملعونة ، واحد . اثنان . لقد حان . الظلام دامسٌ فى جهنم ؛ عار عليك يا زوجى ، وشنار . هل البطل المحْرَبُ يداخله الخوف؟ ماذا يهمنا أن يعلم الناس ما يعلمون حين نصبح من القدرة والسلطان ، بحيث لا نناقش الحساب . ولكن من كان يظن أن يوجد الدمُ بهذه الغزارة فى ذلك الشيخ (تدخل) .

الطبيب : أتسمعين ؟

لادى مكبث : كان لصاحب فايف امرأة . أين هى الآن ؟ ألا يتسنى لى بتةً تنظيف هاتين اليدين؟ كفى أيها السيد كفى. تفسد كل

شيء بمخاوفك .

الطبيب : يظهر أنها تدرى أكثر مما ينبغي لها .

الوصيفة : بيقيني أنها تبوح بما لا يباح به ، مما يعلمه الله .

لادى مكبث : إيه ! رائحة الدم . هذه يد على صِغَرِها لا تطهرها جميع الأعطار العربية أوه . أوه . أوه !

الطبيب : يا له من تنهد . إن على قلبها لوقْراً كبيراً .

الوصيفة : أبى الله أن أرضى بقلب كهذا فى صدرى ، ولو أوتيت كل عظائم الملك .

الطبيب : حسن . حسن . حسن .

الوصيفة : أسأل الله يا سيدى أن يكون كل شيء حسناً .

الطبيب : هذه العلة تفوق طبى ، ولقدعرفت أناساً ماتوا بهاميتَةَ صلاح فى أسرتهم . أما هذه فكيف تموت ؟ لا أدرى . ولكن أجلها غير بعيد ، بل أقرب إليها من حبل الوريد .

لادى مكبث : اغسل يديك البَس ثياب النوم . أعيد على سمعك أن « بنكو » قد دفن فلن يخرج من لحده .

الطبيب : آه . آه .

لادى مكبث : إلى السرير إلى السرير . الباب يقرع . تعال . تعال . تعال أعطنى يدك . ما مضى فقد انقضى . إلى السرير ، إلى السرير ، إلى السرير . ( تحمل المشعل وتخرج )

الطبيب : أتعود الآن إلى سريرها ؟

الوصيفة : توًّا .

الطبيب : باحت بمنكرات مخالفة للطبيعة ، مؤيدة للإشاعات التى تدور سرًّا . الضمائر العليلة تبث خباياها ، فى حشايا وسائدها . وإنها لأحوج إلى الكاهن منها إلى الطبيب . ليغفرْ لنا الله . تيقّظى لها فإن ساعتها دانية . البثى بقربها . مساك الله بخير . لقد أذهلت عقلى ، وأرهبت ناظرىّ . أفكر ، ولكننى لا أجرؤ على الكلام .

الوصيفة : طاب ليلك أيها الطبيب .

( يخرجان )

## المشهد الثانى

### نفس المكان . بدء الفجر

( مكبث وأتباعه )

مكبث : قدى من هذه الأنباء لينهزم رجالى جميعاً، فما أنا بخائف ضيراً . ما دامت غابة « برنم » لا تدنو من دنستيان . أو أخشى الفتى الناعم الأظفار ملكولم ؟ألم تلده امرأة ؟ ألم تقل لى الأرواح العليمة بالغيب : « لا تخف يا مكبث شيئاً ، ما من رجل ولدته امرأة يستطيع إيذاءك » . اهربوا إذاً يا أتباعى الخائنين وانضموا إلى أعدائى الإنجليز . لن ينحرف فكرى . ولن يضعف قلبى بعامل من الريب ، أو باعث من الخوف . (يدخل الخادم)

مكبث : ( مواصلا ) هبلك الشيطان ، وسود وجهك . ما الذى نقع لونك بهذا الاصفرار ، وصيرك أبله كالإوزة .

الخادم : عشرة آلاف .

مكبث : أمن أفراخ الطير ؟

الخادم : من الجنود يا مولاى .

مكبث : اذهب فافرُك وجهك . واستعدْ حمرتك التى هربتها يا رعديد أى الجنود يا صعلوك ؟ هلكت نفسك ، إن رؤية خديك الممتقعين لتجلب الرعب . أى الجنود ياوجه اللبن المعصفر ؟!

الخادم : الجيش الإنجليزى يا مولاى .

مكبث : إليك عنى . توار من أمامى — ويك سيتن ! — اليوم سرورٌ ، أم ثبور ؟ لقد طالت حياتى . حل الخريف محل الربيع وقدر لى أن أحرم كل ما كان جديراً بمرافقة الشيخوخة من الإجلال ، والإعزاز ، والطاعة ، وكثْرة المحبين فأعاض من ذلك : إما باللعنات المكتومة ، أو بالتكرمات التى يمنحها الفم ، ويمنعها القلب — سيتن .

( يدخل سيتين )

سيتن : ما أمر جلالتكم ؟

مكبث : أوردت أخبار أخرى ؟

سيتن : ثبتت الأنباء الأولى .

مكبث : سأقاتل حتى لا تبقى على عظامى قطعة من الجلد . ارفعوا الرايات على القصر ، فهو منيع يسخر من الحصار إلى أن يموت الأعداء مجاعة وحمى . ولولا الخونة من رجالى ومطلعوهم على أسرارنا ، وأحوالنا ، لما حل بنا ضيمٌ منهم ، ما هذه الصيحاتُ ؟

سيتن : مولاى إعوالات نسوة .

مكبث : عجبت لى كيف نسيت إحساس الفزع . . . فقد مرّبى وقت لو علا من العظلمة صوت لجمدتُ من التهيب ، ولو سمعت سيرة محزنة لتصلب شعرى على رأسى ، كأنها الأشباح أحياء بأرواح ، لكننى الآن شبعتُ من الروع ، وقد ألفت فكرتى القاتلة أفظع الأشياء فلن أجزع من شىء . علام هذا النحيب ؟

سيتن : مولاى . الملكة . . ماتت

مكبث : كان خيراً لها أن تؤجل أجلها ، وتنتظر ريثما يتسنى لى الاهتمام بخبرها . هكذا تتصرم الأيام من حيث لا نشعر بها ، متوالية إلى آخر هجاء من أهجية الكتاب ، الذى يُحرَّر فيه الدهر أحداثه وسيرَه . كل ليلة تنقضى تمهد لبعض الأناسى الضعاف طريق القبر . انطفئ انطفئ أيها النور المستعار هنيهة . ما الحياة ؟ إن هى إلا ظل عابر . إن هى إلا الساعة التى يقضيها الممثل على ملعبه ، متخبطاً ، تعباً ، ثم يتوارى ولن يرى . إن هى إلا أقصوصة يقصها أبله بصيحة عظيمة ، وكلمات ضخمة ، على حين أنها خالية من كل معنى .

( يدخل رسول )

مكبث : (مستمراً) وراءك نبأ ؟ تكلم أسرع .

الرسول : أمولاى الرحيم . أود لو أجرؤ على إخبارك بما شهدت ، لكننى ما أدرى كيف أقول ؟

مكبث : هات ما عندك . تفوَّه .

الرسول : بينما كنت فى نوبتى من الحراسة على قمة الهضبة موجّهاً نظرى إلى جهة « برنم » لاح لى فجأة أن الغابة تمشى .

مكبث : ويلك من كذوب بغيض . (يضربه)

الرسول : صرف غضبك فىّ كما تشاء إن لم يكن صدقاً ما أذكر، وهو أن الذى يستشرف من هنا إلى امتداد ثلاثة أميال ، يرى بعينيه غابةً تمشى .

مكبث : إذا كنت مفترياً أمرت بك فعلقتَ على أول شجرة تُرى ، وغادرتك عليها تموتُ جوعاً ، أما إذا كنت صادقاً فلك إن أردت أن تفعل بى مثل ذلك . فما أنا عندئذ . . بالذى يكترث لشىء . . لأستجمع أفكارى . أخذ يدور فى خلدى أن الشيطان خدعنى بالألفاظ الملتبسة ، وكذب علىّ بما قاله ، على كونه إنما قال صدقاً . « لا تخش شيئاً حتى تزحف غابة برنم على دنستيان » وها هى ذى الغابة تدنو من « دنستيان » ، بل هذه الطلائع قد دنت من سور القصر على ما أرى (ناظراً من النافذة) كأنه ليس حوله حرس .

سلاحكم . سلاحكم . سلاحكم أيها البقية الأوفياء ، لنخرج إليهم . لم تبق لى نجاة أقمت أم رحلت ، لقد طفقت أتعب من ضَوْء الشمس ، وبودى لو أرى فناء العالمين . اقرعوا جرس الاستصراخ ، انطلقى يا رياحُ ، هجوماً أيها الدمار ، إن كان القضاء قد حم فلا مِتنا إلا أبطالاً .

( يخرجون إلا سيتن )

سيتن : توالت الآفات على الملك فى يوم واحد ، ميتة امرأته ، ومشية الغابة ، ومفاجأة الطلائع لقصره قبل أن يتسنى له الفرار ، لا بد أن يكون مولاى مديناً لله بكفارة كبيرة ، عن خطايا جسيمة كثيرة ، لقد أفلحت حيلة أعدائه إفلاحاً عجيباً . فإنهم تقلدوا الأغصان من غابة برنم ليخفى عددهم ، ويشتغل الرقباء بمواجهتهم عن الطلائع التى تقدمت ، بانحراف من جانب آخر ، فها هى ذى الطلائع قد جاءت وكل جندى فى القصر مضمر لها التسليم .

( يعود مكبث )

مكبث : قيدونى . شدونى إلى سارية كما يُشد الدب ، لا أستطيع الفرار ، ولا بد من الكفاح إلى النهاية ، أين ذاك الذى لم تضعه امرأة — هو دون سواه من أهابه الآن وأخشاه ؟

( يدخل سيورد الفتى )



الفتى سيورد : ما اسمك ؟

مكبث : ترتعد إذا سمعته .

الفتى سيورد : لا أرتعد ولو كان اسمك أشد إحراقاً من جميع أسماء سقر

مكبث : أنا مكبث .

الفتى سيورد : ليس فى وسع الشيطان نفسه ، أن ينطق باسم أقبح من هذا فى سمعى .

مكبث : ولا أعظم هولا .

الفتى سيورد : كذَبت أيها الطاغية ، وعلى سيفى البرهان .

(يتضاربان ويقتل سيورد)

مكبث : جئت من وضع امرأة ، وأنا أسخر من النصال ، بل اهزأ من كل الأسلحة فى أيدى الرجال الذين ولدتهم النساء .

(يسمع ضجيج قتال)

(يدخل مكدف)

مكدف : أنت . لو قتلك غيرى لطاردتنى أرواح امرأتى وأطفالى إلى يوم الحشر ، إياك أبغى ، ولا أمس بسيفى أحداً من رجالك ، على أنهم قد سلموا على الأمان وعن رضا منهم ، أرنى ظهرك يا كلب جهنم ، أرنى ظهرك .

مكبث : أأنت الذى اجتنبته دون سائر القوم ؟ وإياك أجد ههنا ؟ توارَ من أمامى وحسبى ما أرقت من الدماء . . .

مكدف : أعييت عن الكلام ؟ ! لكن سيفى أفصح منى يا أضرى الكائنات .

( يقتتلان )

مكبث : محال ما تحاول : ليس فى طاقتك أن تسفك دمى ، أكثر مما فى قدرتك أن تطبع فى الهواء أثر حُسامك . اذهب وحارب غيرى ممن تمس جسومهم ، أما جسمى ففى حماية رُقية سحرية ، لا يحلها إلا رجل لم تضعه امرأة .

مكدف : أنا ذلك الرجل . دع وهم رُقيتك السحرية ، واعلم أن مكدف نزع من بطن أمه نزعاً . ولم تضعه أمه وضعاً .

مكبث : لعن الفم الذى يقول لى هكذا ؛ فقد شَلّ ذراعى . وكسر شرّتى ، لا يحسنُ بعاقل منذ اليوم أن يصدق الشياطين الخداعين ، الذين يغروننا بألفاظ ذات معنيين ، فيسرون آذاننا بالمواعيد ، ثم يخيبون آمالنا — لن أقاتلك .

مكدف : إذن سلم أيها الجبان ، وعش لتُعرض على الجمهور ، فيستشرفك العامة فى مكان معلوم ، ترسم على أعلى بابه الكلمات التالية : « هنا ظالم معروض للناظرين » .

مكبث : أأسلم أنا فأقبل التراب تحت قدمى الفتى ملكولم ؟ وأعرض لإهانات السوقة ، واستطالات حقدها ؟ ! لئن كان حقاً أن غابة « برنم » قد زحفت على دنستيان وأنك أنت لم تلدك

امرأة فلأكافحنك إلى النهاية . هذه درعى تقلدتها . اضرب مكدف ، واللعنة على من يصيح أولا .

( يتضاربان متجهين نحو باب للخروج ويسمع مكبث قائلا ) :

مكبث : ( متمماً ) كفى . كفى ( يتوازن وتسمع موسيقا – يدخل ملكولم وسيورد العجوز ورس ولينوكس وأنجوس وكانتس ومنتث ) .

ملكولم : لا سمح الله بأن نسمع سوءاً عن أصدقائنا المتغيبين الآن .

سيورد : لا بد أننا فقدنا بعضهم ، وأيًّا يكونوا فليسوا بالثمن الغالى لهذه النصرة العظيمة .

ملكولم : ترى أين مكدف وأين نجلك النبيل .

رس : نجلك يا سيدى قد أوفى الدين المفروض على كل بطل محارب ، فلم تكن حياته إلا مسيرة ما أدرك من الرجولة ، فأثبتها بحسن بلائه وصلابة موقفه ، ثم مات ميتة رجل .

سيورد : هو إذن قد مات .

رس : أجل ونقلت جثته إلى مكان أمين . لا تجعل حزنك عليه بقدر ما يستحق ، فيكون حزنك بلا نهاية .

سيورد : أكانت إصاباته فى صدره ؟

رس : نعم .

سيورد : فليكن إذن جندىَّ الله . إنى لو رُزقت أولاداً عدادَ الشعر الذى فى رأسى ، لما تمنيت لهم ميتة أجملَ من هذه ، لقد

قضيناه حقه من التأبين .

ملكولم : بل بقيت له ديون من الدموع والأحزان سأوفيه إياها بنفسي .

سيورد : حسبه ما أصاب ، قيل إنه مات أجمل ميتة أو أدى ما عليه ، فلله دره ، وليكن الله معه ، هؤلاء رسل يوافوننا بتعزيات جديدة .

( يعود مكدف حاملا رأس مكبث على سنان رمح )

مكدف : سلام أيها الملك ؛ فلقد أصبحته . انظر . هذا رأس الغاصب الغشوم . نجت أسكتلندة فهي حرة ، وهؤلاء نُخَبُ رجالها يحيونك من صميم قلوبهم معي ، بتحية التاج وينادون : « سلام يا ملك أسكتلندة »

الجميع : سلام يا ملك أسكتلندة .

( موسيقا )

يسدل الستار